أول اغسطس سنة ١٩٣١
ربيع الاول سنة ١٣٥٠

المعرفة

الجـــزء الرابع
الســـنة الاولى

مجـلة — شهرية — جامعة

لصاحبها ومحررها

عبد العزيز الإسلامبولى

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

من جوامع الكلم

الأمة وأبناؤها العاملون

قال المرحوم السيد جمال الدين الافغانى : —

إذا جحدت الأمة حق العامل لها ، أو قصرت فى استحسان عمله ، ضعفت الهمم ، وقل السعى فى المصالح العامة ، وانقبضت الأيدى عن تعاطيها ، فهبطت شؤون الأمة ، فافترقت وماتت .

إن الله جل شأنه قرن كل حادث بسبب ، فاذا استوى لدى الأمة الحسن والقبيح ، والطيب والخبيث ، والفضيلة والرذيلة ، والمصلحة والمفسدة ، وفقد منها التمييز . ولم تقدر أعمال العاملين حق قدرها . ولم تعرف معروفاً . ولم تنكر منكراً ، سلبت آحادها الميل إلى المعالى والكمالات . وكان هذا أشد نكاية بها من جور الظالمين ، وتغلب الغالبين . ظلم الظالم لا يدوم ، وسطوة الغالب لا تثبت . إذا كان جمهور الأمة يقابل الاحسان بالاعتراف . والفضل بالحمد . فانه يوجد منها من يشترى هذه المكافأة بتخليصها وانقاذها ، وأما فقد هذا الاحساس الشريف . فهو أشبه علة بالهرم ، لا عقبى له إلا الموت والهلاك .

التصوف قديماً وحديثاً

كلمة صوفى

أعربية هى أم يونانية ؟

قدمنا فى جزء يوليو القول على هذه الكلمة ، وقررنا بأن ثمة خلافات عدة ، وأوجها تسعة فى اشتقاقها . وقد بحثنا الوجهين الأول والثانى منها فانتهى بنا البحث الى تخطيئهما لغة . وها نحن نأخذ فى تبيان الأوجه الأخرى مبتدئين بالوجه الثالث

— ٣ —

أما القول الثالث فيرى أصحابه أن الكلمة مشتقة من (الصف) حيث يعللونه بقولهم (إنهم فى الصف الأول بين يدى الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه) والناقل لهذا هو الأستاذ السهروردى ، فى كتابه « عوارف المعارف »

وأود قبل مناقشة هذا الرأى ، وقبل التدليل على خطأه ، أن أبرىء الأستاذ السهروردى من تهمة الأخذ به ، وأقول تهمة فلا يدهشن القارىء من ذلك اللفظ ، فان المعنى بقدر ماله من جلال وروعة ، لا يتفق والحق إن شرعا وإن لغة فى شىء . وما دام الأمر كذلك وهو ما سنوضحه بعد فأنه يصبح خطأ مردوداً

قررنا أن هذا خطأ من ناحيتين : دينية ولغوية . وما كنت لأتكلم هنا عن الناحية الدينية ، فلهذه مكانها من البحث . لكنا مضطرون إلى الألماع بألماعة يسيرة نزيل بها الشك من تلك الناحية أيضاً ، ولتكن إثر الناحية اللغوية

أما خطأ النسبة لغة فظاهر البطلان لا يحتاج فى نقضه إلى دليل ، إذ اشتقاق الصفة من الصف « صفى » لا « صوفى » ويجوز أن تقول « صاف » وهذا الأخير نادر والنادر كما هو معروف لا حكم له ، ولم يذكره إلا أبو عبيدة وحجته فى ذلك احتمالية أقامها من

قوله تعالى « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا » قال أبو عبيدة يحتمل أن يكون مصدراً أو أن يكون بمعنى الصافين » أضف إلى هذا أن المعروف عند علماء التفسير هو أن الصاف الملك . قال تعالى « والصافات صفاً » أى الملائكة المصطفون فى السماء يسبحون لهم مراتب يقومون عليها صفوفا كما يصطف المصلون ..... وفى التنزيل « اذكروا اسم الله عليها صواف » أى مصفوفة .

نحكم إذن ببطلان هذا الرأى بعد الذى قدمنا ، وكذا حكم ببطلانه وإهماله كثيرون على على رأسهم الشيخ السهروردى ، وننكره كما أنكره العلامة ابن تيمية والحافظ ابن الجوزى وغيرهما

بقيت الناحية الدينية ونحن نقرر خطأ ذلك الرأى من تلك الناحية أيضاً . وهذا راجع إلى ما يلاحظ من معناه ، وهو تفضيل الصوفية على غيرهم من بقية البشر ، وذلك بجعلهم فى الصف الأول بين يدى الله . وهذا كلام لا تقوم عليه حجة شرعية ولا يؤيده دليل عقلى . فان الاسلام ، بل وكل الأديان ، لا تفضل إنساناً على آخر بغير العمل الصالح ، وليس بذله أو فقره ، ولا بماله أو جاهه . ولا أدل على صحة ما نقول من قول الله تعالى فى كتابه الكريم « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على أعجمى إلا بالتقوى أو عمل صالح » وكان رسول الله يقول لابنته وسيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء « يا فاطمة يا بنت محمد ! اعملى لا أغنى عنك من الله شيئاً » وقديماً شفع نوح عليه السلام لابنه فلم يجبه الله إلى شفاعته لأن ابنه كان غير صالح وفى هذا يقول الله تعالى فى محكم آيه « ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح »

بهذه التعاليم العالية وتلك الأسس القيمة كان مجد الاسلام وكانت عظمته ، فان هذه القاعدة الجليلة وأعنى بها قاعدة المساواة هى من أعظم الأصول وأمتن الأسس وأقوى الدعامات التى قام عليها الاسلام ، والتى جاء بها ليمحو السلطة الروحية التى كان يدعيها ذوو الأباطيل والترهات والتى كان يشهرها رجال الدين فى وجوه مخالفيهم فى الرأى أو المعتقد ، والتى طالما ساموا الشعوب الخسف بها ، وألبسوهم بواسطتها لباس الذلة والمسكنة

بهذه القاعدة الجليلة بطل ماكان للرؤساء والروحانيين من مزاعم فى احتكار السلطة الروحية وتوريثها لذويهم بغير حق ولا صلاح . فصار ميزان التمايز الأعمال الصالحة لا المراسم الشكلية من صفوف أو غير ذلك من أشكال وألوان . ولقد جاء خلفاء الاسلام مؤيدين لهذه القاعدة ، فكان أول خليفة للمسلمين يخطب الناس ويقول « يا أيها الناس قد وليتكم ولست بخيركم ولقد وددت أن واحداً منكم قد كفانى هذا الأمر فلو وجدتم فى اعوجاجا فقوموه »

نعرف من كل ماتقدم أن ادعاء من يدعى نسبة الصوفى الى الصف بجعله فى الصف الأول بين يدى الله عز وجل — إدعاء باطل شرعاً . ولا يفوتنا أن نقول بأن هذه الصفوف أمر متمم لأقامة الصلاة عملا بالحديث الذى يقول « سووا صفوفكم فأن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » ولا يفوتنا أيضاً أن نقرر بأن معرفة درجة الصوفى من الصفوف الأخروية أمر لا يعلمه غير الله وحده . وكل الذى نعرفه والذى عليه من قبلنا هو أنه لو صح التفضيل لكان لأبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لعمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ثم لبقية الصحابة والتابعين وأهل الشورى وغيرهم . ولقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى» وقال أيضا «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بأحسان »

فأين كان الصوفية وقت فتح مكة وهو ما نزلت الآية لسببه أو زمن المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا أو تعرف فرقهم إلا فى القرن الثالث ؟ الحق أنا كلفنا أنفسنا كثيرا فى الرد على هذا الزعم الباطل ولكننا نعمل مانعمل فى سبيل نفى ذلك الشين عن الأسلام ، على أنه لا يفوتنا أن نخاطب أولئك الذين يزعمون لأنفسهم صفا بقول إمام من أئمتهم وأعنى به محيى الدين بن عربى حيث يقول فى هدم مثل ذلك الزعم :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

— ٤ —

أما القول الرابع وهو القائل بنسبتها إلى الصوفانة وهى بقلة زغباء قصيرة ـ فيعللونه بقولهم « إنهم نسبوا اليها لاجتزأهم بنبات الصحراء » ويقول الأصفهانى فى مفرداته «قيل إنه — أى الصوفى — منسوب إلى الصوفان الذى هو نبت لاقتصادهم واقتصارهم فى الطعم على ما يجرى مجرى الصوفان فى قلة الغناء فى الغذاء »

وهذا خطأ من ناحيتين أيضاً : ناحية دينية وأخرى لغوية . فأما تلك الناحية الدينية التى يؤاخذون عليها فهى اقتصارهم على مايجرى مجرى هذا النبت فى الطعام ، فأن فى هذا مخالفة لقوله تعالى فى محكم آيه « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون» وفى قوله تعالى «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» ثم يقول بعد ذلك «قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والأثم والبغى بغير حق» ويقول أيضاً « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض» وقال رسول الله «لأن يترك أحدكم أولاده أغنياء خير من أن يتركهم فقراء يتكففون »

كل ذلك شاهد على أن الاسلام دين جد وعمل ، لاخمول وكسل ، وعلى أن الأسلام لم يمنعنا التمتع بملذات الحياة المشروعة أو الاستفادة منها وبكل مافى كائنات الله تعالى من بدائع وخيرات ، وأرزاق وثمرات . إن ديننا هذا شأنه محال أن يرتضى أولئك الذين ينخرون فى عظامه نخر السوس فى الجسد بتلك الأسرائيليات أو هاتيك الزهديات المبالغ فيها كل المبالغة . وليس الزهد زهـداً إلا فيما يملك الانسان لا فيما يحرم منه . فان الأسلام لم يحرمنا نصيبنا من الدنيا بل إنا لنعرف ما جال فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى على لسان نبيه « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » فمثل هذا الزهد المبالغ فيه لم يأت به الأسلام مطلقاً ولم يأمر به الا فى حدود لا إلى الافراط ولا إلى التفريط وذلك ليعد معتنقيه للفوز فى هذه الحياة كما أعدهم للفوز فى حياة الأبد وسيكون لنا فى هذا الزهد كلام كثير ليس هذا مجاله الآن

بقيت الناحية اللغوية وهذه خطأ أيضاً والا فلو أن النسبة صحيحة لقيل « صوفانى » لا « صوفى » . وقد أنكر هذا الرأى كثيرون فى مقدمتهم العلامة الحافظ ابن الجوزى

أضف الى ما تقدم أن هذا الرأى لا وزن له ولا اعتبار لعدم قيمته ووجاهته فلننتقل الى القول الخامس

— ٥ —

أما القول الخامس وهو القائل باشتقاقها من « صوفة القفا » وهى الشعرات النابتة فى مؤخرة الرأس ، فيعللونه بقولهم « إن الصوفى عطف به الى الحق وصرف عن الخلق » وقد أورد هذا الرأى الحافظ ابن الجوزى فى كتابه « نقد العلم والعلماء » . وهذا الوجه خطأ أيضاً لانعدام القياس الفعلى المعروف

— ٦ —

أما القول السادس وهو القائل بنسبتها الى صوفة بن مر بن إد بن طابخة فقد أورده صاحب كتاب « جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين » وصاحب « مجموعة الرسائل والمسائل » وقيل سمى صوفه لأن أمه ما كان يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن فى رأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة يخدمها . وكان الحج وإجازة الناس من عرفة الى منا ومن منا الى مكة لصوفة ، ولم تزل الاجازة الى عقبه حتى أخذتها عدوان ، فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش . والى بنى صوفة ينسب النساك ، وذلك لأنهم أول من انفرد بخدمة الله تعالى عند بيته الحرام . وثمة روايات مختلفة عديدة عن تاريخ آل صوفة أو آل صوفان أو آل صفوان على حد قول صاحب الأساس ، ضربنا صفحاً عنها لضيق المجال . ويقول صاحب الأساس « لعل الصوفية نسبوا اليهم تشبهاً بهم فى النسك والتعبد » وسواء لدينا أصحت هذه الروايات التى ذكرناها أم لم تصح ، فان النسبة الى قوم فى الجاهلية لا وجود لهم فى الأسلام خطأ محض ، وذلك لأن النسبة الى الاسلام كانت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظى مسلم أومؤمن ، ولايختلف اثنان فى أفضلية هذه على سابقتها . ولقد أفتى الأمام ابن تيمية بتكفيرمن يقول بنسبتها الى بنىصوفة والفتوى بنصها وفصها موجودة فى « مجموعة الرسائل والمسائل ص ٢٢١ طبع المنار » فارجع اليها إن شئت .

— ٧ —

أما القول السابع وهو القائل بنسبتها الى أهل الصفة فذلك لأنها على حد قول بعضهم اسم من أسماء النسب ، كالقرش والمدنى وغيرذلك ، ونحن نحكم بخطىء هذا القول

لأنه لايوافق قاعدة النسب والا قيل «صفية» لا «صوفية» وقد ذكر هـذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته وابن تيمية فى كتابه «المفاضلة بين الصوفية والفقراء». وأما أهل الصفة فكانوا من فقراء المهاجرين يتصفون بصفات صوفة بن مر بن إد بن طابخة المتقدم الذكر وقد كانوا يفدون على رسول الله «ص» وليس لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مؤخر مسجد النبي بالمدينة ليأوى اليها من ليس لهم مكان، ولم يجتمعوا فى وقت واحد إذ تارة يكونون عشرة أوأقل وتارة عشرين أو ثلاثين وأخرى ستين أو سبعين، وجملتهم لم تزد على الأربعمائة، قعدوا بالمسجد لضرورة وأكلوا من الصدقة لضرورة فلما انتشر الأسلام فى الأرض وفتح المسلمون الأمصار استغنوا عن تلك الحال وخرجوا وفى رواية أخرى بل طردهم سيدنا عمر بن الخطاب قائلا لهم «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وانما الله يرزق الناس بعضهم من بعض» مستشهداً بقوله تعالى «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون»

— ٨ —

أما القول الثامن وهو القائل باشتقاقها من الصوف فأن أغلب المتصوفة يعتمدون عليه ويتحمسون له تحمساشديدا، ويعللونه بقول أحدمشايخهم «الصوفى كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لاتدبير لها» ويدعون فوق ذلك أنهم مختصون بلبسه لماكانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى الصوف وهذا ماقاله ابن خلدون فى مقدمتـه. على أن هذا الرأى خطأ أيضاً، وذلك لثلاثة أمور (أولا) لأنهم يقيمون الكلمة على غير قياس فعلى معروف، حتى أن صاحب التاج ذهب إلى القول بأنها صائغة (ثانيا) انهم لم يختصوا بلبس الصوف بل تقدمهم فى لبسه اتباع موسى وعيسى عليهما السلام. وذلك من قبل أن يأتى الأسلام، وفى هذاتشبه بغير نبي الأمه ومن تشبه بقوم فهو منهم.(ثالثا). لأنه مخالف لما جاء عن النبي (ص) والصحابة والتابعين. إذ أن الصوف لم يكن لباس السلف من الأمة لأنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أمرنا الله بستره، ولأن فيه إشهاراً للزهد وقد أمرنا الله بأن نظهر نعمته علينا

«روى أبو الشيخ الأصفهانى بأسناده عن محمد بن سيرين أنه قال إن قوما يفضلون لباس

الصوف فقال إن قوماً يتخيرون الصوف يقولون انهم يتشبهون بالمسيح بن مريم وهدى نبيناأحب الينا » . وقال محمد بن محمد بن على الكتانى لأصحاب المرقعات الذين يلبسون خرقة الصوف « إخوانى إن كان لباسكم موافقا لسرائركم ، لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وإن كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة » وقال أبو عبيده محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه « لايعجبنك ماترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم فما زينوا الظاهر إلا بعد أن خربوا الباطن » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضع » وفى حديث آخر « البسوا الثياب البيض فأنها أطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم » وعن أبى هريرة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما أن النبي نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان ؟ فقال رقة الثياب وغلاظتها ، ولينها وخشونتها، وطولها وقصرها ، ولكن سداد بين ذلك واقتصاد ، وعن أنس عن رسول الله (ص) أنه قال « من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقا على الله عز وجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه »

والأحاديث كثيرة جدافى هذا الباب ومن شاءفليرجع اليها فى كتاب "المناوى" أو أسباب ورود الحديث "أو تلبيس ابليس لابن الجوزى" . وأرى قبل اختتام هذا الرأى أن أروح عن نفس القارىء بالرواية الآتيه فقد قال النضر بن شميل لبعض الصوفية « أتبيع جبة الصوف ؟ فقال إذا باع الصياد شبكته فبأى شىء يصطاد ؟ »

— ٩ —

أما القول التاسع وهو القائل بأنها أخذت من كلمة « سوف » اليونانية فلم أر من ذكره مطلقا غير الفيلسوف العربى أبى الريحان محمد بن أحمد المعروف بالبيرونى المتوفى فى عشر الثلاثين والأربعمائه فى كتابه « تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » طبع ليدن سنة ١٨٨٧ م فى باب (أصحاب الكرامات) حيث قال « إن قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذيب الفلسفة عندهم ،كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الأشياء كلها شىء واحد « وحدة الوجود » ثم من قائل فى ذلك بالكمون، ومن قائل بالقوةوأن الانسان مثلا لم ينفصل عن الحجر والجماد الابالقرب من العلة الأولى فقط لاستغنائها فيه وحاجة غيرها اليها. وان ماهو مفتقر فى الوجود الى غيره

فوجوده كالخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء السوفية أى الحكماء فأن سوف باليونانية معناها الحكمة . وبها سمى الفيلسوف أى محب الحكمة . ولما ذهب قوم فى الأسلام الى قريب من رأيهم سموا بأنفسهم . ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم بالمتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها . الخ »

هذا ماقاله العلامة البيرونى . وهو الصحيح من بين الأقوال جميعا واعتقد أن واحدا ممن تقدم ذكرهم لم يوفق الى أصل الكلمة توفيق أبى الريحان . وثابت أن الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين تكلمنا عنهما فى الجزء الأول من هذه المجله .

على أنه يمكنك مراجعة شرح هاتين الكلمتين فى مقدمة ابن خلدون وفى دائرة المعارف للبستانى ومحاضرات الفلسفة العامة للكونت دى جلارزا وغير ذلك من المصادر والمظان

ونحن نقرر بأن هذا الرأى هو أصح الآراء وأن الكلمة يونانية الأصل والمنبت معتمدين فى هذا على الأسباب التى تقدم ذكرها ، وقد ذهب هذا المذهب الاستاذ فون هامر فى دائرة المعارف الأسلامية . والاستاذ براون فى كتابه «تاريخ الفرس الأدبى» وليس هذان فقط بل وأوردها الأستاذ نيكلسون فى كتابه « مذكرات فى التصوف » وأخذ بها الأستاذ لطفى جمعه فى كتابه « تاريخ فلاسفة الأسلام » عند الكلام عن محيي الدين بن عربى فقال « عندنا ولو كره المكابرون أنها من كلمة « ثيوصوفيا » اليونانية كما تقدم ومعناها الحكمة الألهية » وأخذ الاستاذ العقاد بهذا الرأى أيضاً فى كتابه «مطالعات فى الكتب والحياة» وما تزال الكلمة معروفة بلفظها فى اللغات الافرنجية بلفظ (Theosophy)

فيظهر لنا من هذا كله أن الكلمة بعيدة عن العربيـة ودخيلة عليها من جهة أخرى . وقد يعترضنا معترض فيقول . ولكن الكلمة صوفى وليست سوفى. فنرد على هذا الاعتراض بأن حرف الصاد لايوجد فى اليونانية أضف إلى هذا أن الحرفين يتعادلان فى كثير من المواقع العربية

وقد ورد فى مفردات الراغب الأصفهانى قوله « سطر وصطر واحد » لا فرق بينهما هذا آخر ماوقفنا عليه وهو الحق على مانعتقد والله الهادى الى سواء السبيل ؟

عبد العزيز مصطفى الاسلامبولى

بين العلم والفلسفة

وهل ضعف الايمان بالعلم ؟

للدكتور محمد حسين هيكل بك



ليس الدكتور هيكل بك ، بالمجهول لدى القراء فنعرفه ، ولا بالخامل الذكر بين العلماء فنقدمه وانه لمن المبالغة أن نقدم رجلا كهيكل قامت عليه هياكل الادب القومى الحديث ، وكان له القدح المعلى فى إذكاء الروح القومى ، وأكبر الاثر فى تقدم الصحافة المصرية .

ومن ذا الذى لم تثقفه كتابات هيكل ، أو تقومه رسائله الادبية الرائعة ؟

وفى الحق أنه لمن الظلم ، أن نحكم عليه من رسائل منفردة ، ولكن الحق كل الحق أن ننظر إلى مجموع كتاباته المتنوعة فى مختلف العلوم والفنون والسياسة والادب والاجتماع ، لنعرف أنه فى طليعة العلماء والمفكرين ، وعلى رأس الادباء المبرزين ، وفى الذروة من قمة الكتاب المعروفين .

وحسب القراء ، أن يعرفوا ، أن « هيكل » عماد الحركة الادبية ودعامتها القوية لافى مصر فحسب بل وفى جميع بلاد الشرق.

وقد تشرفت بزيارته راجياً التفضل بكتابة بحث من بحوثه القيمة فتكرم بهذا البحث القيم الذى يراه القراء بعد ؟ المحرر

يقولون إن الديمقراطية والنظم الحرة التى قامت على أساسها ، تعانى اليوم أزمة مظهرها قيام الطغاة والحكام بأمرهم فى اكثر من أمة مستقلة . ويعلل البعض هذه الظاهرة بأنها بعض آثار الحرب ، وخضوع الدول والشعوب للقوة الغاشمة ، قوة البواتر والمفرقعات والغازات الخانقة وما اليها من عدة الهلاك والدمار . فاذا كانت الشعوب يخضع بعضها للبعض عن طريق هذه القوة المدمرة ، فهذه القوة يمكن أن تتخذ هى الأخرى أداة لاخضاع شعب بأسره لنظام معين ولحكم فرد من الأفراد مادام هذا الفرد يصرف القوة

المدمرة ، ويستطيع بذلك أن يخضع غيره لما يعتقده هو خير ذلك الغير ولو على كره منه وبارغام إرادته وإذلال أنفته .

هل يعانى العلم اليوم أزمة كالأزمة التى تعانيها النظم الحرة ؟؟ يجيب الأكثرون على هذا السؤال ايجاباً ويحاولون أن يردوا سبب الأزمة إلى الحرب الأخيرة وآثارها . فهم يقولون : إن العلم حاول خلال القرن التاسع عشر كله ، وخلال النصف الأخير منه بنوع خاص ، أن يحل كل مشاكل العالم العقلية والنفسية حلا يقيمه على طرائق من الملاحظة والتجربة والمقارنة ، وانه نجح فى ذلك الى حد كبير ، فلما جاءت الحرب الكبرى واشتركت فيها الأمم بمختلف طبقاتها ، وعانت هذه الطبقات من كوارث الحرب ومصائبها ما عانت ، قصر العلم عن أن يمدها بالسند الروحى أو النفسى الذى يرتفع بها فوق كوارثها ومصائبها ، فلم يك بد من الالتجاء إلى وحى الالهام والعاطفة مما لا يقره العلم ، ومن الرجعة الى الدين ، وإلى السند الروحى منه بنوع خاص ، لتستطيع الانسانية أن تواجه ما أناخت الحرب به عليها من أرزائها . ومن ثم يعانى العلم أزمة كالتى تعانيها الحرية ، ومن ثم يلتمس الناس فى غير طرائق العلم سنداً للنفوس ، ومقياساً للخلق ، وأداة لجدة روحية ترتفع بالعالم من التمرغ فى وهدة المادة التى دفعت الحرب به اليها ، والتى جعلته يلتمس فى إرضاء الشهوات الدنيا وسائل لنسيان همومه بعد أن كان يواجهها بعواطف سامية من الصبر والجلد ويحملها فى سكون وطمأنينة ، لأنه كان يجد فى الايمان درعاً قوياً يغالبها به ويتغلب عليها .

ولئن صح ان كانت الديمقراطية ، والنظم الحرة تعانى أزمة سببها الحرب ، فان اعتبار الحرب سبب ما يمكن أن يدعى أزمة العلم فيه شىء كثير من التجوز ، يجعل تجوزاً كذلك اعتبار التطورات الفكرية الأخيرة أزمة عامية . والواقع أن ما يمكن أن يعتبر سبب هذه الأزمة يرجع الى ما قبل الحرب بسنوات عدة . فمنذ فكر المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فى مخاطبة الأرواح ، ومنذ تابعه فى هذا التفكير كونان دويل ، وأوليفر لودج وغيرهم من العلماء المشهود لهم بالنزاهة والفضل — من ذلك التاريخ ومن قبل ذلك التاريخ ، بدأ اضطراب الايمان المطلق باستطاعة العلم الوصول الى الحقائق جميعاً ، وبدأ كثيرون من العلماء يجعلون ميدان العلم غير ميدان الفلسفة ، ويقررون بصراحة أن ميدان العلم بالغاً ما بلغ امتداده ، لن ينال من ميدان الفلسفة والايمان إلا بمقادير قد تبدو لنا

عظيمة وهى فى الواقع ضئيلة كضآلة كوكبنا الأرضى الى جانب الكواكب الأخرى ، والى جانب لا نهائية الوجود .

وقبل أن نعرض لهذا الذى يسمى تجوزاً أزمة العلم ، يحسن بنا أن نقف قليلا لنفكر فى منشأ هذه الأزمة . فمنذ ظهرت الفلسفة الواقعية (أو الوضعية كما يجرى به الاصطلاح) رأى مؤسس هذه الفلسفة : أوجست كومت : ورأى عماداها العظيمان تين ورينان أن العلم سيحل مشاكل العالم جميعاً ، ومن بينها المشكلة الدينية ، أو بعبارة أدق مشكلة الايمان . وأن التسليم بقواعد ونظريات لا تؤيدها الطرائق العلمية المستندة إلى التجربة والملاحظة والمقارنة يجب أن يتلاشى ليحل محله إيمان أساسه هذه القواعد العلمية التى تكشف لنا — بطريقة لا تتطرق الريبة اليها — عن سنن الكون وقواعد العالم وما حسبه المدنيون والفلاسفة (المتافيزكيون) مما لا يخضع للعلم ولا للحس وما يجب أن يرجع الى الوحى السماوى أو الالهام النفسى . وهذا الايمان بالعلم هو الذى جعل أوجست كومت يقرر ما سماه قانون الحالات الثلاث : الحالة اللاهوتية (الثيولوجية) والحالة التجريدية (المتافيزكية) والحالة الواقعية (العلمية) ، ويعتبر هذه الحالة الأخيرة مدى ما يمكن أن يصل الى العقل الانسانى وما يستطيع معه أن يحل كل مشاكل العالم ومعضلاته . وقد بالغ أصحاب كومت والتابعون اياه فى الايمان بالعلم وبما يحل العلم من مشاكل الحياة حتى خيل الى البعض أن ميادين الدين والفلسفة توشك أن تسلم نفسها لميدان العلم وتصبح بعض هذه الأساطير التى أورثنا اياها التاريخ ، ليتلهى بها الكتاب والشعراء ورجال الفن على علم بأنها أساطير لا يمكن أن تكون موضعاً لايمان رجل مثقف .

والواقع أن العلم تقدم ، وما يزال يتقدم حتى اليوم ، ويحل من المشاكل ما كان يظن الى ماض قريب مستحيل الخضوع لحكم التجربة والملاحظة والمنطق العلمى . بل إن خطى العلم قد بلغت من السرعة فى هذه السنين الأخيرة ما أدهش الاذهان التى كانت فى ريبة من استطاعة العلم أن يكشف من طوائف المجهول عن كل هذا المقدار . وكما كنا نجد فى الماضى مؤمنين يلذهم أن يضحوا فى سبيل ايمانهم براحتهم وبحياتهم ، فان كثيرين من العلماء ، يتعرضون اليوم فى سبيل العلم لصور من التضحية يتضاءل أمامها كل ما عرف من التضحيات فى كل العصور التى سبقت هذا العصر . ولسنا بحاجة فى هذا السبيل الى أن

نذكر مثل العالم البلجيكى بيكار الذى اخترق طباق الجو الى ارتفاع خمسة عشر كيلومتراً عن سطح البحر ليقوم بالملاحظات ويدون الظواهر الجوية عنـد هذا البعد من أرضنا حيث لاتستطاع الحياة الانسانية — لسنا بحاجة الى ذكر هذا المثل والأمثال من نوعه فى السنين الأخيرة كثير . وكثير من أمثال هذه التضحيات للعلم يتم فى سكون ومن غير جلبة ، لأنه يتم فى اكثر الأحيان فى معمل من المعامل وبين جدرانه التى لا يعرف العالم عما يتم بينها الا ما يظهر من نتائجه — بينما تظل الجهود الضخمة التى ينفقها العلمـاء والتى يذيبون فيها أذهانهم وعقولهم وأفئدتهم مطوية عن الناس لأن أصحابها يرون كل تضحية فى سبيل العلم أقدس من أن يتباهى صاحبها بها على أنها موضع افتخار أو إعلان . وهذه النتائج التى يكشف العلم كل يوم عنها ، وهـذه الخطى يسبق العلم الانسانية اليها قد كان لها من غير شك أثرها فى حياتنا النفسية وان لم يك بمقدار ما كان لها من أثر فى حياتنا المادية ومعيشتنا الاجتماعية . لكن هذه الخطى لما تبلغ بعد ذلك المدى الذى كان يتوقعه كومت وتين ورينان . هى لم تبلغ لتكشف عن حقيقة الوجود وحقيقة الصلة بين الانسان والوجود . وهذا هو مصدر ما يمكن أن يسمى شعورنا أزمة العلم ، وإن كان العلم لايحس قط هـذه الأزمة ، وكان يسير فى سبيله بقدم ثابتة وايمان راسخ وتقدير دقيق للرسالة العظيمة السامية التى يضطلع بها ليصل بالانسانية الى الكمال أو ليقترب بها الى أدنى الغايات من هذا الكمال .

لا يحس العلم بهذه الأزمة لأنه واجه مثلها فى عصور كثيرة . وقد تغلب فى بعض هذه العصور على الشعور العام بقصوره عن حل مشاكل الانسانية ، ووقف فى عصور أخرى مكتوفاً لا يتقدم حتى طغى عليه هذا الشعور بقصوره طغياناً رد الناس إلى الايمان الذى لايستند الى شيء من العلم . ولست أدرى إن كان الشعور بمقدرة العلم على حل معضلات الحياة جميعاً قد بلغ من النفوس فيما مضى ما بلغ فى القرن التاسع عشر فى أوربا . لكن الثابت أن عصور ازدهار الحضارة الاسلامية قد رأت نهضـة علمية عظيمة قرر رجالها طرائق البحث العلمية الحديثة وان لم يعلنوا مبدأ الفصل بين العلم والايمان المستند الى ما سوى العلم . أفترى ما أصاب العلوم الاسلامية من أزمة تقدمت اضمحلالها مصيباً العلم فى هذا العهد الحاضر لتطغى الأوهام على أهله كما طغت على المسلمين ولينتقل العلم

بعد ذلك الى أوطان غير أوطانه اليوم ؟ أم أن نوعاً من المؤازرة والتعاون سيكفل للعلم أن يظل سائراً فى طريقه وأن تتسع دائرة أوطانه وأن يمد الأيمان بقوة تجعله أسمى نظرة وأجمل تسامحاً وأجدى عونا فى تقريب الانسانية من غايتها ؟

ليس يسيراً أن ندلى بجواب صريح أو أن نختار إحدى هاتين الخطتين . لكن الذى نلاحظه أن ثمة اليوم بين العلم والفلسفة تنافساً صريحاً ، فأيهما أقدر على حل لغز الوجود والكشف عن حقيقته وحقيقة الصلة بين الانسان وبينه ؟ فالعلماء الواقعيون يعلنون من جانبهم أن أبحاثهم تدنو بهم من هذه الغاية على مهل ولكن بقدم ثابتة وبالوسائل العلمية التى لا يتطرق اليها الريب . أما الفلاسفة « الألهاميون » فيذهبون الى أن العلم على جلال ما كشف عنه وما أضاء به سبيل الفلسفة لن يصل الى كنه الحقيقة التى يتعلق إيمان القلب بها ، وأن هذه الحقيقة سيظل أبداً مصدرها الألهام وأنها فى وحدتها قد تتخذ صوراً وألواناً مختلفة بمقدار ما يفسح العلم أمام إلهامنا من فرجات للبصيرة ، لكن الألهام سيظل آخر الأمر مرجع الأيمان الذى يهذب نفسيتنا وينظم تبعاً لها طرائق معيشتنا وسياستنا ويصور من هذا الكل الخاضع لأيماننا حياة الفرد وحياة الجماعة وحياة الانسانية ويقرر صلات الفرد والجماعة والانسانية جميعاً بعضاً ببعض ، وبعضها بالكون الأعظم أو بمبدع الكون الأعظم على النحو الذى يهدى اليه الالهام المستمد من الكون الأعظم ومبدعه

على أن السابقين من أصحاب هذه الفلسفة يستمد إلهامهم وحيه من العلم ونتائجه ونظرياته . وليس واحد منهم الا من درس العلم دراسته دقيقة ووصل بين نتائجه ومنطق العقل ووحى البصيرة . وهذا برجسون ، أشد أصحاب هذه الفلسفة منذ أوائل هذا القرن بروزاً ، ممن يفاخر بهم العلم الحديث . ووليم جيمس الفيلسوف الأمريكى الذى جعل من دراسة النفس الانسانية ميدانه والذى يأخذ بمذهب الالهام على نحو مايأخذ به برجسون وإن اتجه بأبحاثه الى غير وجهته هو الآخر عالم ضليع بالعلم الحديث وبما أبدع . وطائفة غير هذين من فلاسفة الالهام يعتبرون جميعاً فى عالم العلم أعلام هدى يحج الطلاب ويحج العلماء أنفسهم اليهم . وليس فى ذلك من عجب وطائفة من الفلاسفة الواقعيين يقررون أن للايمان ميداناً غير ميدان العلم وإن كانوا يرون ميدان الايمان عقيما غير ذى ، جدوى فغير

جدير بالنفس المهذبة أن تتجه اليه . وأصحاب نظرية الالهام فى حل بطبيعة الحال من مخالفة الواقعيين رأيهم فى شأن ميدان الايمان وفى حل من اعتباره أسمى الميادين التى يجب أن يعد العلم لها ، وفى أنه الميدان الذى يجب أن تجعله النفس المهذبة وجهتها وفى أن تصل منه الى أسمى غاياته . واقرار الواقعيين بهذا الميدان ووجوده حجة لمعارضيهم وتبرير صريح لبحثهم فيه ابتغاء بلوغ عاليا مراتبه . وان كثيرين من هؤلاء المعارضين ليذكرون هربرت سبنسر وما قدم به للجزء الأول من فلسفته التوفيقية — جزء المبادىء الأولى — حين تحدث عن مالا سبيل الى معرفته (The unknowable) وليعترضون عليه بأن ما يحسب هو ألا سبيل الى معرفته قد يتمكن غيره من الوصول الى معرفته اذا سلكوا طريقاً غير طريقه ولم يتقيدوا تقيداً مطلقاً بالملاحظة والتجربة والاستقراء ، وجعلوا الالهام حاسة كالنظر أو السمع يستطيع أن يسجل ما تسجله هذه الحواس من ملاحظات وتجارب يبنى العقل وتبنى البصيرة على أساسهما نتائج الاستقراء التى يصلان اليها

أى هذين التيارين ينتهى الى الانتصار ؟ أم هما يظلان متوازيين متعاونيين ؟ وهل هذه الظاهرة التى يحلو لبعضهم أن يسميها أزمة العلم ستتمخض عن انتصار نظريات الايمان انتصاراً يقلل من سرعة تيار العلم ويباعد بين خطواته ؟ واذا كان ذلك فهل له غاية ينتهى اليها ؟ هذه كلها مسائل جديرة بالبحث ، نود لو تناولها مفكرونا ورجال الجامعة فى مقدمتهم وبحثها يكشف فى اعتقادنا عن ميادين للنظر والتفكير جديدة ، جديرة بكل اعتبار وعناية ؟

محمد حسين هيكل

تحذير ورجاء

نرجو حضرات الكتاب والأدباء والعلماء وجميع الذين يتفضلون على مجلتنا بأبحاثهم أن يتأكدوا من كل شخص يتقـدم الى حضراتهم مدعياً تمثيل المجلة لأخذ موضوع أو حديث أو غيره منهم . فقد أبلغنا بعض حضراتهم عن أشخاص من هذا القبيل ، تقدموا إليهم بتلك الدعوى الكاذبة وليست لنا بهم علاقة مطلقا ؟ المحرر

تحويل القبلة

عن القدس الى مكة

بقلم شيخ العروبة
الأستاذ أحمد زكى باشا

الفصل الثانى

ما هى الحكمة فى هذا التحويل ؟

— ١ —

علينا أن نرجع القهقرى ، وأن نعود الى عصر النبوة فى « أم القرى » .

ففى أوائل البعثة وتحت ظلال الكعبة ، كان خير الرسل الكرام وسيد الخلق على الاطلاق يدعو قومه الأقربين الى الدين الجديد ، دين التوحيد ، فيكاشفهم بالوحى ليلا ونهاراً ، ويصدع بالأمر سراً وجهاراً .

وفى خلال ذلك ، يقيم الصلاة متوجهاً صوب الكعبة (على قول مرجوح) .

أما القول المعتمد عند أهل البصر (عن ابن عباس وغيره من أكابر الصحابة) فهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يولى وجهه شطر الصخرة التى فى بيت المقدس ، دون أن يستدبر الكعبة .

وما زالت حاله على هذا المنوال ، من الدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن الصلاة الى ناحية الصخرة حتى ابتلاه ربه بالهجرة ، كما كتبها على الأنبياء قبله .

وقد اختار الله مدينة « يثرب » لهذه الكرامة . فأصبحت ، بعد إشراق أنوار النبوة عليها وهى « المدينة » على ما جاء فى التنزيل الحكيم ، كما صارت عند الناس « المدينة المنورة » بطريق الاختصاص ، من باب التمييز والتكريم . ولن تزال كذلك بفضل الله الى يوم النشر والحشر .

كان السواد الأعظم من أهلها يهوداً ، على ما أثبته ابن عباس .

وسأتولى بيان أوليتهم فى أرض الحجاز ، بطريق الايجاز .

— ٢ —

تبين لى ، بعد مراجعة التواريخ المعتمدة المعتبرة ، أن اليهود نزحوا الى وادى القرى بأرض الحجاز ، على فوجين فى عصرين متباعدين .

فأما الفوج الأول ، فكان من الذين خالفوا أوامر موسى الكليم ، حينما خرج ببنى اسرائيل من وادى النيل الى أرض التيه .

وأما الفوج الثانى ، فقد لحقوا باخوانهم هؤلاء بعد خراب الهيكل ، وهو البيت المقدس ، على عهد الطاغية الجبار بختنصر (نبوخذ نصر) .

ترتب على استيطان هؤلاء اليهود بأرض العرب ، وعلى معايشتهم لأبناء يعرب ، أنهم تأثروا بعامل البيئة واصطبغوا بفعل المجاورة ، فاستعربوا . وكان من نتيجة هذا الاندماج فى سلك العروبة ، أننا رأينا بعضهم فى أيام الجاهلية قد اكتسب من هذه المخالطة تلك الشمائل وهاتيك السجايا التى كانت ولا تزال تاج العروبة من قديم الزمان الى الآن .

ومن جهة أخرى رأينا فريقاً من أبناء العروبة قداستهوتهم اليهودية ، فتهودوا . وزادهم الايمان برب موسى محامد وفضائل فوق التى توارثوها عن عدنان وقحطان . فقد آمن بالتوراة رهط من عرب الشمال ، كما حصل من اخوانهم فى الجنوب ، متابعة للملك ذى نواس . وهنا مكان للشرح لما فيه من عبرة وطنية !

ذلك أن مشاكل الجوار وسياسة الاستعمار ، كانتا قد دفعتا الأحباش الى احتلال أرض اليمن . والتبشير قديم . ولكنه قد يكون مقروناً بما يوجب النفور من الصليب ومن الانجيل . فقد رأى ذو نواس من المحتلين إسرافاً فى الجبروت والطغيان ، يخالف ما كان يسمعه من الأفواه عن المسيح وعن وصايا اكبر رسول للسلام . فبلغ من كراهته للاحتلال الأجنبي ولدين النصرانية ، بل لأوثانه القديمة الجامدة وأصنامه العتيقة الهامدة أنه انتهى الى ترمق الخلاص لدى الاله الذى نجى بنى اسرائيل وأخرجهم من ذل الرق الى نعيم الحرية . وحينئذ لجأ ذونواس الى موسى الكليم والى شريعته وناموسه . فآمن بالتوراة . وجرى قومه على سننه لطلب الخلاص من الاضطهاد الواقع عليهم باسم الصليب وتحت راية الصليب . فكان ذلك سبباً لزيادة الضغط الاحتلالى بوسوسة المبشرين وبدسيسة الاستعماريين . فلما أيقن ذونواس بعجزه عن دفع الضرر عن وطنه ، أبى عليه

شممه أن يرى بعينه ما حل بقومه . ومن أجل ذلك آثر الموت على الحياة . فاقتحم البحر بفرسه . وكان هذا آخر العهد بذلك الملك المتفانى فى حب وطنه .

فاذا حدثك التاريخ الصادق، يافتى العرب، عن مفاخر السموأل وغير السموأل من كرام اليهود المستعربين ، أو من أماجيد العرب المتهودين ، فقد انكشف لك السر ، وظهرت حقيقة الأمر . فافهم ذلك واذكره .

— ٣ —

فلما استقر النبي العربى الكريم فى « المدينة » انقسم يهودها الى ثلاث فئات :

(١) — جماعة آمنوا

(٢) — فريق نافقوا

(٣) — وآخرون أخذتهم العزة بالاثم

وكلامنا لا ينصب إلا على الجماعتين الثانية والثالثة ، وهو منصرف بالطبع الى من لف لفهم وماشاهم من الاعراب الذين آثروا الشرك وعبادة الأوثان على الايمان بالواحد الأحد الفرد الصمد .

إن اليهود أهل كتاب سماوى ، وهم يؤمنون بالاه واحد ، فلذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يستسهل استمالتهم ، ويستصوب إلانتهم ، ويأمل هدايتهم .

وكان وهو بمكة — كما قلنا — يصلى الى بيت المقدس ، قبلة اليهود .

— ٤ —

فلما هاجر الى المدينة ، صدر له الامر بالصلاة الى بيت المقدس (فى قول) أوصار له الخيار فى التوجه بالصلاة حيثما أراد (فى قول ثان) .

وهاتان النظريتان ترميان إلى أمر واحد : استئلاف اليهود .

فاما النظرية الأولى ، فهى التى جرى عليها جار الله الزمخشرى بقوله فى « الكشاف » إن « النبي كان يصلى الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى الصخرة ، تألفا لليهود » ، وانضم اليه المفتى أبو السعود بقوله فى تفسيره : « لما هاجر النبي ، أمر بالصلاة الى الصخرة تألفاً لليهود » . ووافقهما العلامة الألوسى ، حينما أكد لنا فى تفسيره ، أن « الصرف عن الكعبة لاستجلاب اليهود » .

لـكن أصحاب النظرية الثانية — وهى الراجحة عندى — يؤكدون أن النبي عليه الصلاة والسلام قد شرفه الله بأن فوض له اختيار القبلة فى وقت الصلاة ، وأنه عليه الصلاة والسلام قد آثر البقاء فى محل الهجرة على ما كان عليه فى موطن البعثة . وحامل الراية فى هذه الرواية هو أبو العالية . فقد أفادنا أن الرسول الاعظم اختار بيت المقدس "لكى يتألف أهل الـكتاب » أى اليهود والنصارى.

على أن أرباب التحقيق تخلصوا من هذا التعميم الى التخصيص ، فقالوا بان اليهود — واليهود وحدهم — هم المقصودون بهذا الاختيار فى سبيل الايلاف . فقد جاء عن البراء بن عازب وعن عكرمة وعن الحسن البصرى — وناهيك بهم ! — انه صلى الله عليه وسلم « كان يستقبل بيت المقدس ، وهى قبلة اليهود . فاستقبلها سبعة عشر شهرا ليؤمنوا به ويتبعوه » .

وأقوال جلة المفسرين متضافرة على هذا المعنى ، أعنى استئلاف اليهود واستجلابهم الى شريعة القرآن .

فـكان النبي — وقد بعثه الله رحمة للعالمين — يتمنى ويؤمل ويريد أن يؤمن به اليهود . وكان يسعى لاقناعهم بكل الوسائل (ومنها القبلة) ليدخلوا فى الدين الجديد ، دين التوحيد الذى جاء به من عند ربه ، لهداية الخلق الى أقوم طريق .

بل رأيناه — قبل الهجرة — يتمنى ويؤمل ويريد أن يؤمن به نفر من عشيرته الاقربين (كما أشرنا الى بعض ذلك فى الفصل السابق المنشور فى الجزء الثالث من هذه المجلة)

وهل نحن فى حاجة الى القول بان اليهود قد اغتبطوا وابتهجوا حينما رأوا نبى الاسلام يتوجه الى قبلتهم التى ببيت المقدس ؟

على أنه حينما دعاهم الى الله ، أعرضوا عن هداه ، بل عارضوا مسعاه ، بل أجمعوا أمرهم على أذاه ، الى أن وصلوا الى دس السم فى الدسم .

وفى خلال مجادلتهم له وحواره معهم ، كانوا يستطيبون التهكم عليـه والزراية به ، فيعجبون من كل العجب من مخالفته لشريعتهم مع اتباعه لقبلتهم (على مارواه مجاهد) . بل قالوا بصريح العبارة : « والله ! ماعرف محمد وأتباعه قبلتهم ، حتى هديناهم » (على مارواه ابن زيد)

(للبحث بقية) أحمد زكى باشا

الروحانية الحديثة

للأستاذ الفيلسوف

محمد فريد بك وجدى

قرأنا مقالا ممتعاً لحضرة الاستاذ عبد الواحد يحيي ، تحت عنوان « الروحانية الحديثة وخطأها » نلخصه للقارئ في بضعة أسطر ثم نعقبه بملاحظات لنا عليه ، قال حضرته :

« من أخطر الأغلاط ما حدث فى أمريكا فى سنة ١٨٤٧ تحت اسم الروحانيـة الحديثة ومؤداها ثبوت إمكان الاتصال بالموتى بوسائل مادية ، تصحبه ظواهر كانبعاث أصوات وتحرك أشياء الخ . ولكن هذه الظواهر قد حدثت فى كل زمان ومكان ، فلا يمكن القول بأنها ظواهر شاذة . فلماذا يستولد منها الغربيون عقيدة جديدة ، بينما لم يفكر أحد فى شيء من ذلك من قبل . لاشك فى أن الغربيين قصدوا بذلك ، الثورة على المادية المنتشرة فى العالم فعملوا على ايجاد وسيلة سرية تعمل على هدمها . ولكن الباطل شر دائماً ، وهذه الوسيلة تفضى الى مادية من نوع آخر بل أكثر ضرراً »

« وقد أصيب كثير من محاولى الاتصال بالموتى بالجنون أو الخراب ، ثم الانتحار . ونحن لا ننكر حدوث هذه الظواهر ، ولكننا ننكر ما تفسر به من أنها من عمل الموتى ، ونعزوها الى قوى الانسان العقلية ، فان هذه القوى تتسع وتكبر، وبخاصة فى حالة النوم المغناطيسى فتحرك الاشياء ، وتدرك الخفيات . وعليه فهى ليست روحية خارجية بالمرة ، بل هى نفسية تحدث فى الأحوال غير العادية التى يدخل فيها الوسيط »

« والانسان فى حالة النوم المغناطيسى يحاط بقوى فعالة ألطف من القوى التى فى الجسم هى التى كان يعبر عنها الصينيون بأنها (قوى سابحة) لها قوانين ثابتة مقررة . فان أمكن جمعها وتركيزها فى شروط خاصة ، انبعثت منها تأثيرات غريبة . أضف إلى هذا بأن الانسان إذا اتصل بهذه القوى يمكنه أن يلبسها إلى أمد شخصية جديدة ، بتعطيل شخصيته الخاصة به »

« ان الذين يشتركون فى جلسات الروحانيين تتصل أفكارهم بالوسيط على غير شعور منهم ، وربما كان من حوادثهم ما أصبح عندهم نسياً منسياً ، فاذا ذكرها الوسيط عجبوا من ذلك كل العجب ولا يدرون أنها وصلت اليه منهم »

« وأحياناً تحدث ظواهر مصدرها الموتى ، ولكن ليس بفعل مباشر منهم ، بل من بقايا من نفس الميت ، يتركها بعد تحلله . لأنه يوجد فى النفس عناصر تلازم الجزء الخالد من الكائن . وهذه البقايا النفسية تمثل حالات خاصة من (القوى السابحة) ويمكنها أن تأخذ مظهراً مؤقتاً للحياة ، وتعطى إجابات آلية معكوسة ، من أفكار الانسان التى كانت هى جزءاً من نفسيته . ونريد هنا أن نشير بصفة خاصة إلى فعل الجن ، ولكن ليس هنا مجال الافاضة فى هذا الموضوع »

« وبما أن هذه الأمور ليس فيها شىء من الروح ، فلا ضرورة للقول بأنه لا يمكن المقارنة بينها وبين وحى الأنبياء أو ما هو أقل منها ، كالمقدرة الخاصة بالأولياء وهى التى تنبعث فى مبدإها من العالم الروحى »

« والنتيجة أن كل من يود معرفة حقيقة مثل هذه الموضوعات فلا يمكنه أن يجد ضالته فى البحوث الغربية الحديثة بل عليه أن يرجع الى المعارف الشرقية القديمة » انتهى

ملاحظاتنا على هذه الأقوال

امتازت الثلاثة القرون الأخيرة بالشك فى كل ماورد عن الأقدمين ، وبالتوقف فى قبول شىء منها الا بدليل محسوس . فلما أعلن فرانسوا باكون فى القرن السابع عشر الأسلوب العلمى ، وأبعد عن مجال العلم الصحيح جميع الظنون والآراء والمذاهب الكلامية ازداد الناس رسوخاً فى طلب الدليل ، وأتقنوا وسائل التمحيص ، وتشددوا فى ذلك تشدداً عظيما بقصد تخليص العلم من جميع الشوائب ، وتجريده للحقائق التى لا يأتيها الباطل من أية جهة من جهاتها ، فأفضت هذه الحركة الاصلاحية الى اقصاء كل مالا يقوم عليه دليل محسوس حتى مسألة وجود الخالق والروح والخلود . فلما حدثت الحوادث الخارقة للعادة فى دار قيل أنها مأهولة بالأرواح فى (هيد سفيل) بأمريكا سنة ١٨٤٧ قابلها الناس أولا بالسخرية والانكار ، ولكن لما تطوع لفحصها الأساتذة الكبار من جامعات نيويورك أمثال (مابس) و(هير) وثبتت لهم صحتها وكتبوا فيها مباحث قيمة ، انهمك الناس بتجربة أمثالها فى كل بلد متمدن ، وتألفت فى انجلترة لجنة علمية من ثلاثة وثلاثين عالماً فأوسعوها بحثاً وتمحيصاً ، ثم رفعوا عنها للمجمع العلمى تقريراً إجماعياً قرروا فيه صحة هذه الخوارق . فكان ذلك داعياً للعلماء فى جميع الأمم المتمدنة ، لبحث أمثال هذه الأمور ، فتبينت لهم صحتها

ولم يأبوا إذاعتها والدفاع عنها أمثال (روسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى قبل دارون (ووليم كروكس) اكبر كيماويى انجلترة وعضو بالجمعية الملكية الانجليزية (واوليفر لودج) رئيس جامعة برمنجهام و (فريدريك ميرس) و (بودمور) و (جارنى) و (هودسون) من مدرسى كامبردج بانجلترة ، و (زولنر) الفلكى المشهور (وويبر) و (فيشنر) و (أولتريسى) الفزيولوجيون ، و (ثرناك توتزنج) وجميعهم من علماء الألمان و (شارل ريشيه) مدرس الفزيولوجيا بجامعة الطب بباريس و (كاميل فلامريون) الفلكى الكبير و (دارسونفال) من جامعة السوربون بفرنسا ، و (سيزار لومبروزو) مؤسس علم الجرائم و (مورسيلى) و (كيايا) و (كيابارلى) من مدرسى جامعة تورينو بايطاليا ، و (هيزلوب) و (وليم جيمس) و (اليوت) من جامعة نيويورك بأمريكا الخ الخ ممن يعدون بالألوف غير الكتاب والشعراء والأطباء ورجال القانون والصحفيين ممن لا يدخلون تحت حصر . وقد جربوا كلهم فى هذا الباب تجارب ، واتخذوا لها من التحوطات ما لا يسمح بتطرق أى تدليس الى أعمالهم ، فقرروا بعد أن فرضوا لحدوثها كل الفروض التى يسمح بها العلم بأن هذه الخوارق صحيحة لا غبار عليها ، وأن بعضها حاصل من نفس الوسيط ، وبعضها من قبل أرواح الموتى ، أو من كائنات عاقلة قائمة فى عالم أرقى من العالم المادى ، الذى نعيش فيه . ولا يزال العلماء يدأبون وراء استكناه حقيقة هذه الحوادث ، وقد أقاموا لها مؤتمرات وأسسوا لها مجامع علمية ، أشهرها جمعية المباحث النفسية بلوندرة ولا تزال قائمة من سنة (١٨٨٢) الى اليوم ، والمجمع العلمى الألمانى تحت رئاسة أحد كبار الاساتذة من المعروفين والمجمع العلمى الفرنسى الخاص بهذه المباحث ، وقد شرط أن لا يلتحق بهذه المجامع الا العلماء ذوو المكانات العالية لتفحص فحصاً علمياً جديراً بها ، وخليقاً بالانقلاب الخطير الذى تؤدى اليه فى آراء البشر وعقائدهم ، وفى توجيه العلم نفسه الى وجهة غير الوجهة المادية ، التى اندفع فيها منذ قرون عديدة . فليس الذى يحدو هؤلاء العلماء الى إذاعة هذه الأمور وضع عقبات خيالية أمام المادية ، ولكنها حوادث ومشاهدات سيكون لها أثر كبير فى اصلاح نفسية الانسان ، وفى تجلية حقائق ، تجارأت المادية على انكارها ، فزجت بالناس فى حمأة الحيوانية

وقد وهب الثرى الفرنسى المسيو جان مييه (Jean Meyer) للعاملين على نشر التعاليم

الروحانية داراً عظيمة تلم شعث جمعياتهم ، وفيها تعقد مؤتمراتهم ، وتلقى محاضراتهم ، وأسس مجمعاً علمياً لبحث الأمور الروحانية بنور العلم ، وعلى مقتضى أسلوبه الحكيم ، ووهب له قصراً فخماً ، ووقف عليه مالا يغل له فى كل سنة (أربعة ملايين) فرنك . فلا يعقل أن يتمالأ العالم فى جميع البلدان على نشر فرية بهذه العناية العظيمة لوقف تيار المادية ، وهم يعلمون أن هذا سلاح مفلول لا يغنى عن مستعمله شيئاً .

أما إصابة بعض المجربين للأمور الروحانية بالجنون فصحيح . ولكنها حوادث شاذة حدثت لبعض المنهمكين فيها بغير علم ولا مرشد ، وهو من أدل الأدلة على أن هذه الحوادث تتعلق بالعالم الروحانى ، وتعمل فيه قوى خارجية لكائنات مستقلة يعوز الاتصال بها مراناً وخبرة ليسا للمتهجمين عليها بغير حزم ولا تدبير .

أما عزو الأستاذ عبد الواحد هذه الخوارق الى قوى الوسيط العقلية فقد ذهب هذا المذهب فى أوروبا علماء كثيرون ، ولكن متابعة التجارب والتأمل فيها أثبت لهم أن من الحوادث ما يمكن تعليله بقوى الوسيط الذاتية ، ولكن منها مالا يمكن تعليله بها فان ما تأتى به الروح التى تتصل بالوسيط يفوق معلوماته كثيراً . فمنها من تكلمت بلغات لا يفهمها الوسيط ولا أحد من الحاضرين كاللغة الهندية ، والصينية والعربية ، وكتبت بها كتابات صحيحة . ومنها من أتمت مؤلفات كان قد تركها مؤلفوها ناقصة وماتوا مع أن الوسيط كان أمياً لا يدرى عنها شيئاً ، فلو افترضنا أن القوى العقلية للوسيط تستمد من القوى العالمية التى يسميها الصينيون (بالقوى السابحة) كما يقول حضرة الأستاذ عبد الواحد فانه يتعذر على الانسان أن يقبل حدوث الكذب من هذه القوى العلوية فانها قد تستولى على يد الوسيط أو تظهر متجسدة أمام المجربين . فتدعى لهم أنها روح فلان أو فلانة غير الوسيط ، ولم تعترف واحدة منها بأنها روح الوسيط أو قواه العقلية فهل يعقل أن تتمالأ أرواح الأحياء ، حتى ولو اتصلت بالقوى العقلية العالمية ، على غش الناس وتضليلهم ، وهى فى حالة تجردها الروحانى بارتكاب أشنع الآثام وهو الكذب ؟ كما يقول العلامة الكسندر اكراكوف فى كتابه (النفسية والروحية Animisme et Spiritisme)

على أن العناصر الروحانية التى ذكرها الأستاذ عبد الواحد ووصفها بأنها قوى فعالة ألطف من القوى التى فى الجسم ، وهى التى عبر عنها الصينيون بالقوى السابحة ، وما قاله

من أن الحى يترك بعد موته بقايا نفسية فى الأشياء ، بعد تحلله تلازم الجزء الخالد منه ، وما وصفها به من أنها قد تأخذ مظهراً مؤقتاً للحياة وتعطى اجابات معقولة ، كل هذا مما لا يمكن اثباته بدليل علمى ، ولا يعترف به العلم ، بل هى من مولدات خيال القدماء ، يمكن وضعها فى مستوى قولهم بوجود نفوس للكواكب تؤثر فى تدبير العالم الأرضى فيجب عدم الاعتداد بها والامتناع عن اتخاذها مسلمات تقف حجر عثرة أمام تقدم العلوم وتصد عن متابعتها على نور المشاهدات والتجارب .

إن القدماء زعموا أن العناصر أربعة : الماء والتراب والهواء والنار . وبنوا على ذلك علومهم وفلسفتهم ، وأنت خبير أن بين هـذه المسلمات ، وبين ما وصلت اليه بالتحليل والتركيب مدى لايدركه التصور ، فقس عليه كل ما ذكروه عن الروح والنفس والعقل ، فالتعويل عليها الآن مستحيل . والذين يقفون معها يحكمون على أنفسهم بالعيش فى زمان غير زمانهم ،وتصاب معارفهم بالتحجر .

فلندع العلم الحديث يتابع طريقه فى بحث العالم الروحانى . فهو الكفيل بدقة أسلوبه ، وشدة تمحيصه ، وكثرة وسائله ، بالوصول منها الى مثل المستوى الذى وصل اليه من تسخير الماء والهواء والأثير ، وقد حان الوقت لأن يصدر فى هذه الشؤون حكماً قاطعاً مبنياً على التجارب والمشاهدات ، وإذ ذاك ينفتح أمام الانسان الطريق الى العالم الروحانى ، فيستكمل وسائل تقدمه المادى والأدبى ، ويصل الى مستوى لم يبلغ اليه أحد ممن تقدمه فى الوجود ، ويكون ذلك هو العهد الذهبي الذى يحلم به الفلاسفة والشعراء ومن يعش ير والله المستعان ؟

محمد فريد وجدى

﴿ المعرفة ﴾ اطلع الأستاذ عبد الواحد يحيي على هذا المقال — قبل أن يطبع — وذلك بحكم صلته بنا التى يعرفها الأستاذ فريد بك وجدى نفسه ، وقد كتب الأستاذ عبد الواحد رداً على رد الأستاذ فريد بك أرجأنا نشره للجزء المقبل ، فنلفت اليه أنظار القراء ؟

الحسين بن على

بقلم الدكتور

عبد الرحمن شهبندر



أذكر أنه حينما قام العلامة الأكبر شيخ العروبة الأستاذ أحمد زكى باشا ، حفلته الكبرى لتأبين المغفور له «الحسين بن على» كنت فى طريقى إليها ، أقدم رجلا وأؤخر أخرى . وكان يتردد فى النفس هاجس قوى أخاذ، ليس لدفعه ساعتئذ من سبيل . فأما ذلك الهاجس الذى كان يتردد فى النفس ، فلم يكن إلا فى السؤال عما يستطيع أن يقوله الخطباء والشعراء ، فى تأبين ذلك العاهل الجبار الذى أحاطت الدعايات الأجنبية اسمه بسياج من التضليل والتغرير ، اتخذت الأغراض والاهواء من تنازله عن العرش ذريعة للكذب والتزوير .

على أن الهاجس ما لبث أن زال بعض الزوال ولا أقول كله ، حينما سمعت خطبة شيخ العروبة وبقى على أن استوثق مما فات بعض الخطباء الآخرين .

فلما أن قابلت حضرة زعيم سوريا الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر أفضت اليه بما جال فى النفس مما سبق ذكره ... فأخذ حضرته فى إزالة مالبس على من حقيقة الرجل وتفضل باعطائى ما كتبه عنه ، بعد أن رغبت فى الحصول عليه ، زيادة فى التأكيد ، وحرصاً على منفعة القراء ، فى الحصول على أصح الحقائق التاريخية . وها نحن أولاء ننشر قسما من المقال ، وذلك لوروده الينا والمجلة ماثلة للطبع واعدين بنشر بقيته فى الجزء المقبل إن شاء الله ؟ المحرر

من المتعذر على من لم يتتبع الانقلابات السياسية والتطورات الاجتماعية التى طرأت على المملكة العثمانية منذ ثورة سنة ١٩٠٨ الى أواخر الحرب العامة ، أن يدرك سر القضية العربية أو أن يحيط بتفرعاتها ، بل إن بعض الفصول الدقيقة منها قد لا يفهم فهما صحيحا ما لم يكن الباحث على مشهد من مسرح الرواية أو اتصال بالممثلين أنفسهم

كنا على عهد السلطان عبد الحميد بعيدين عن النزعة القومية ولم يكن منانا الا انقاذ البلاد من استبداده وتخلصها من جواسيسه ورفع تلك الغشاوة الجاهلة التى كان يسد لها على العيون

فلما حصل الانقلاب الدستورى صفق له الأحرار طرباً فى انحاء البلاد وكان والحق يقال ثورة حرة خالصة قام بها مؤسسوها عن عقيدة لا دخل للمصالح فيها الا مصالح الوطن فاشتركت فى تقديسها والاحتفال بها جميع العناصر العثمانية على السواء وفى مقدمتها العنصر العربى.



الحسين بن على

لكن اكثر الانقلابات مهما كانت طاهرة يدخلها الرجس من غير أن يحس به أصحابها ومؤسسوها وهكذا كان شأن جمعية الاتحاد والترقى، فبين عشية أوضحاها أخذت الدسائس تحاك فى مركزها العمومى على أيدى رجال أغرار لا يفقهون السياسة كثيراً، ولم نلبث أن نرى فكرة تتريك العناصر بادية على بعض الزعماء الاتحاديين الاندفاعيين الذين لا يقدرون العواقب قدرها فهاموا بها وظنوا أنها طلسم الأوصاب وبلسم للجروح، وقد استولت عليهم هذه الفكرة الى درجة أنهم وضعوا أتيلا وجنكيزخان وهولاكوخان، وغيرهم من المخربين المشهورين فى مصاف الأنبياء وزعماء الأمم، ذلك لأنهم من العنصر الموغولى وصاروا يتفننون بعبادة الذئب الأبيض لأنها عبادة القبائل الطورانية القديمة، كما كان يرجع المصريون مثلا عن عبادة الله الى عبادة أوزيريس هياماً بالفرعونية! والظاهر أن مؤلفاً

فرنسوياً يهودياً صاحب مكتبة فى باريس اكسب هـذه الحركة رونقاً بقامه السيال وخياله البديع .

هيجت هذه الخطة الاتحادية السخيفة الطائشة الشعور فى العالم العربى وكان حتى تلك الأيام متفانياً فى الدولة فاضطرب نظامه وحدث فيه رد فعل فأصابه ما يسمى فى كتب العلم « بالانتباه القومى » فقابل هؤلاء الاتحاديون الهوسى هذا الانتباه الطبيعى بالاجراءآت القاسية الى أن أعلنت الحرب العامة وخاضت الدولة غمارها فاجمعت كلمتهم على انتقاء أحمد جمال باشا وهو أجنهم على الاطلاق لينتهز تلك الفرصة السانحة فيقضى على هـذه النهضة بجميع الوسائل ولا يتسع هذا المقال لذكر المنكرات التى ارتكبها ولا الجرائم التى اجترمها وحسبنا فى الدلالة عليها أن نشير الى المآتم التى تقام فى البلدان العربية من أقصاها الى أقصاها لتأبين الملك حسين بن على ، لأن الأحرار هناك يعترفون بجليل ما قام به من الدفاع عن حوزة العرب وإنقاذهم من أيدى السفاحين الاتحاديين الذين لاقوا جزاءهم خصوصاً على أيدى منقذ تركيا من الاستعمار الأوروبى الغازى مصطفى كمال باشا .

ولما كنت أرجو « المعرفة » أن يكون لها من اسمها أسمى نصيب فى إذاعة المعلومات النافعة والملاحظات القيمة ، فقد أتيت بكلمتى هذه عن الحسين (وقد بعثت بها لتتلى فى المآتم المذكورة) لتنشرها فى هـذه الانحاء حيث كانت دعاية الاتحاديين وأعوانهم قد أفسدت الحقائق وشوهت الوقائع

• • •

لم نشعر فى أيام ثورتنا السورية بالحاجة الى شىء شعورنا بالحاجة الى المليك العظيم الحسين ابن على ، ذلك لان الذى القى الى سورية حبال النجاة وهى تغرق فى بحار مظالم الاتحاديين من أبناء الشرق فى سنة ١٩١٦ لا يتأخر عن القائها اليها مرة ثانية وهى تغرق فى بحار مظالم المستعمرين من أبناء الغرب فى سنة ١٩٢٦ وهكذا فلا غبار علينا اذا نحن قلنا إن مقدار العطل الذى تصاب به الامة فى أعمالها بسبب موت العاملين فيها ، هى الى درجة بعيدة مقياس الرجل الكبير الذى تفقده من أبنائها — فعلى قدر هذا العطل تكون قيمة الرجل . ومما لاشك فيه أبداً أنه لو بقى لنا فى قيد الحياة الى أيام ثورتنا الشهداء الغر الميامين الذين فقدناهم على أعواد المشانق فى سنتى ١٩١٥و١٩١٦ وكان المليك الهاشمى لا يزال متربعاً على أريكته فى

«أم القرى» وله من موارد الحجاز ما يكاد يبلغ المليونين من الجنيهات — مانقصنا السلاح والعتاد الذى كنا فى أشد الحاجة اليه ولا كانت البوادى المقفرة مسكنا لرجالنا العاملين .

واذا أراد الباحث أن يستخلص لنفسه حكما صحيحا على المليك الراحل فعليه أن يجرد نفسه من آثار تلك الدعاية الملفقة التى بثها جمال السفاح وأعوانه وان ينقى دماغه من تلك الأحلام الصبيانية التى تورط فيها الادعياء من طغمة الاتحاديين وان يرجع الى الزمن الأول الذى لم يكن فيه للأغراض الذاتية شأن يذكر بعد . ولا أدل على صفات الرجال من اللمحات التاريخية التى تؤخذ من سيرتهم العامة وهى فى بدء ارتقائها وعلى طريق تكونها

يمت المليك الراحل بنسبه إلى أبى نمى القرشى وهو أول من تولى الأمارة فى سنة ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م) وكانت ولادة جلالته فى « أم القرى » فى سنة ١٢٧٠ هـ فنشأ فيها وترعرع فى سمائها إلى أن بلغ سن الشباب . فاستقدمه السلطان عبد الحميد إلى الاستانة منذ نحو أربعين سنة وبنى له على ضفاف البوسفور قصرا مشمخرا ومنحه الرتب والنياشين واعتنى عناية خاصة بتربية أبنائه وتعليمهم ، وكانت سيرته مثالا يحتذى به فى سمو الاخلاق وصدق العزيمة وبعد النظر حتى أن رجال الباب العالى كانوا يستشيرونه دائما فى الخطوب المدلهمة والمعضلات المتعلقة بسلامة الدولة وينزلون فى كثير من الاحيان عند رأيه ، وبقى فى العاصمة العثمانية ١٩ عاما كان فى خلالها مفخرة للعرب وحصنا حصينا لقوميتهم خصوصاً متى قيس بالآخرين من أبناء عمه الذين تناسوا كل شىء عربى حتى لغتهم .

ولما حدث الانقلاب العثمانى الحر فى سنة ١٩٠٨ كان لمكة الشأن المفوق بعد الاستانة العاصمة السياسية ، وذلك لحرمتها الدينية فى أعين العناصر العثمانية فلا بد والحالة هذه من انتقاء أصلح رجل لها واكفئهم للاضطلاع باعبائها ، فعجم الاتحاديون عود رجالات العرب وكان الاتحاديون يومئذ فى طور تألفهم وهم بعد على العهود التى قطعوها للعناصر العثمانية وعلى الايمان المغلظة التى أقسموها — فلم يجدوا أصلب من الحسين بن على ولا أصلح منه . وهذا لعمرى شهادة يلمسها الأعمى وتهتز لها أذن الأصم بما للزعيم الراحل من المزايا لأنها قدمت فى ساعة الانقلاب وقبل أن تنظم الأغراض الشخصية وتبث الدعايات الكاذبة . وشتان بين الشهادة التى ينطق بها الشهود فى المحكمة فوراً وعلى غير استعداد سابق والشهادة التى تلقن بعد الرشوة والتواطؤ . فلم يكن دخوله « مكة » بأقل من

دخول الفاتح الذى أنقذ « أم القرى » من أنصار الرجعى ومؤيدى الاستبداد . لا جرم أنه دعى منذ تلك الساعة منقذاً فقضى قضاء مبرماً على تلك الهياكل التى عبثت بأقدس المشاعر وجعلت عاصمة دين التوحيد والرحمة مرتعاً للشرك والمظالم . وإن أنس لا أنسى راتب باشا الوالى ومظالمه الفتاكة و الصورة القبيحة التى طرد بها من الحجاز . أما الأحرار فى سائر البلاد العثمانية ، وفى مقدمتها الاستانة فكانوا يصفقون طرباً للسيرة المثلى التى سار عليها الفقيد العظيم وكانت جرائد الترك تكيل له المديح جزافاً للعزيمة الصادقة التى أبرزها . واذكر أننى أول ما سمعت الحديث عنه من أناس عرفوه شخصياً كان فى الهيئة المركزية للاتحاد والترقي فى سورية فقد كان أمير الحج فى تلك الأيام المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف يقص علينا من الملاحظات عليه ما كان يجعله كبيراً فى أعيننا عظيماً فى متانته واستقلاله ، ولطالما قلت فى نفسى افأل حسن أن يتمرن زعيم عربى كبير من أبناء عمنا على شؤون الادارة وتصريف الأمور فى عهد الحرية والاخاء والمساواة لأننا ضقنا ذرعاً بالاهمال الذى كنا نعانيه فى شؤون الدولة وبالحقوق القومية التى سلبت منا .

ولما جاءت سنة ١٩٠٩ انتخب نجله الثانى سمو الأمير عبد الله عضواً عن الحجاز فى مجلس النواب العثمانى فكان حلقة الاتصال بين الترك والعرب وكانت الخطة السياسية التى اختطها له والده هى التعاون بين العنصرين العثمانيين الكبيرين على إصلاح شؤون الدولة فى الداخل والخارج . ومما يدل على اخلاص الفقيد العظيم للجامعة العثمانية عقيب تلك الأيام التى لم يبق منها الا الذكريات ، أنه قاد بنفسه الجيوش العربية لاخماد ثورة قام بها أبناء عمه الأدارسة فى العسير على الحكومة العثمانية فحاصروا الجيش التركى فى (أبها) وضيقوا عليه الى أن فرج عنه الحسين وأنقذه من أنياب الموت . لا غرو أنه قال فى منشور الثورة الذى نشره على العالم الشرقي والغربى فى حزيران سنة ١٩١٦ « وقد حملت بالعرب على العرب » ولكنه ماذا رآى وهو فى طريقه من (أبها) ؟ إنه رآى بعينيه عربياً ثائراً وقع فى قبضة زعيم من الاتحاديين فأدخل فى جسمه عموداً من الخشب كالسفود وشواه على النار المتأججة شى الطهاة للمعتم !

(يتبع) عبد الرحمن شهبندر

أزمة الزواج

نشرنا فى جزء يوليو بعض الردود التى وصلتنا عن هذا الاستفتاء ؛ وننشر فى هذا الجزء بعض ما وصلنا من حضرات الآتية أسماؤهم ؟

رد السيدة هدى هانم شعراوى (١)

أشكركم على اهتمامكم بأمر البحث فى معرفة ما سميتموه (أزمة الزواج) وأشكركم فوق هذا على حسن ظنكم بى ، ورغبتكم فى استطلاع رأيى فى هذا الموضوع . وإنى وإن كنت لا أشارككم فى رأيكم بوجود أزمة زواج بمصر لغاية الآن بالمعنى الحقيقى تستحق الشكوى والبحث لها عن علاج

غير أنى لا أرى مانعاً من أن أدلى اليكم بما أراه فى هذه المسألة . المشاهد عندنا أن سن الزواج تغير عملياً ، فقد كان فى الخمسين سنة الماضية ، يعقد الزواج بين سن الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، وذلك لأن المعيشة فى العهد السابق كانت أقل كلفة ، ومدة التعليم أقصر مدى . أما اليوم وقد تحول الحال ، حيث صارت المعيشة اكثر كلفة، وأصعب منالا ، والحاجة الى التعليم تقتضى مدة تكاد تكون ضعف المدة السابقة ، فكان من الطبيعى أن يتأخر ميعاد الزواج ويقع بين سن الخامسة والعشرين والثلاثين كما هو الآن ، وهذا التأخير لا يصح أن يشتكى منه ، ولا أن يدعى أزمة زواج . على أنى لا أنكر أن هذا التطور تولد عنه وجود شبان وشابات تجاوزوا هذه السن بدون زواج . ولكن أمثال هؤلاء لا يزالون قليلين ، بل فى حكم النادر الذى لا يقاس عليه ، على أنه مهما قل عدد هذا النوع فهو جدير بالعناية لمنع ازدياده . وذلك ببحث الأسباب التى أوجدته والعمل على إيقافها قبل أن تصير خطراً يصعب تلافيه ، وقد أراها منحصرة فيما يأتى

أولا : عدم التناسب بين الجنسين فى التربية والتعليم لأن تفوق الشاب غالباً فى التعليم جعله يعتبر الشابة التى من درجته ، والتى يساعدها على أن تنال قسطاً من التعليم مثله ليست كفؤا لتحقيق آماله فى الزواج .

---

(١) يعود الفضل فى الحصول على هذا الرد لحضرة الاستاذ على نجيب مدير الصور الاجتماعية

ثانياً : عدم اختلاط الجنسين من الطبقات الراقية فى المدن والقرى ، مما أوجب استحالة تقدير كل من الطرفين لصفات الآخر ودرس أخلاقه ، وهـذا الشك يفضى بالطبع الى الاحجام عن الزواج .

أما فى طبقات المزارعين والعمال حيث يختلط الجنسان بعضهما ببعض ، ويعيشان كتفاً لكتف ، ويتساويان فى المدارك والعمل ، فالزواج شائع منتشر ، وقد لا يوجد فى الألف من يبلغ العشرين من غير زواج ذكراً كان أم أنثى .

ثالثاً : انتشار محال البغاء وعدم الحياء من طرقها ، ولا سيما البيوت السرية منها ، حيث تجد طبقة الشبان التى ألقت بنفسها فى هوة البغاء والفساد ، ما يسد شهوتها ، ولو أنه يقضى القضاء الأخير على حياتها وفضيلتها .

تلك هى الأسباب الكبرى ، التى يجب لفت النظر الى معالجتها ، ونرجو أن تزول العقبات التى تحول بين البنت والتعليم المساوى لتعليم الولد ، وبينها وبين التمتع بنور الحياة العملية والجهاد فيها ، وسيقضى عاجلا أم آجلا على السببين الأولين . أما محال البغاء فهى العقبة الكؤود الباقية ، والبؤرة التى تنبعث منها كل الشرور . ولعلنا نرى قريباً بفضل جهود المصلحين ما يحقق رجاءنا فى تطهير البلاد من أدرانها ، ويقى الأعراض والفضيلة من شرها .

هدى شعراوى

رد الدكتور عبد العزيز قاسم

من العوامل الخطرة ، والمعاول التى أخـذت تهدم الأسرة . وتقوض سعادة العائلة ، وتنذر بسوء المصير ، هو عدم إقبال الشباب على الزواج ، وبالأحرى (أزمة الزواج)

لماذا لايتزوج الشاب ، وينعم بالسعادة الزوجية وتقر عينه بذريته ، ويكمل دينه ، ويضمن استقامة أخلاقه ، وينبو بنفسه عن الانغماس فى المحرمات ، والاختلاط بالساقطات ؟؟

كل ذلك جال بخاطرى . وتأملت فى أسبابه ، فوجدت هناك عوامل كثيرة ، تجعل الشاب يحجم عن الزواج . ويفضل حياة العزوبة

(١) الناحية الخلقية فى الرجل والمرأة على السواء . فالرجل يفرط فى رقابة بيته ، ويترك لبناته ونسائه الحبل على الغارب . ولما كان النساء ناقصات عقل ودين ، فكثيراً ما يستهوى

إحداهن شاب نزق فيجرها الى الفساد ، إن لم تكن هى منغمسة فيه . فالتفريط للجنس اللطيف جعل اتصالهن بالشبان من الأمور الهينة ويساعد على ذلك انغماس صاحب الدار فى خمره وسهره ، مما يساعد على إهماله لرقابة عائلته . والشاب الذى انحطت أخلاقه وفسدت طباعه ، حتى أصبح يفضل الفساد والغش على الزواج الطاهر ، لهو نكبة على أمته . لأنه يعيش لنفسه . لا يهمه إلا شهواته وملذاته غير مبال بعقاب الله ، ولا بوخز الضمير ولا رادع له من دين أو عقل . وفى الحقيقة فان أغلب شبان اليوم من هذا الطراز ، حتى لقد بلغت الوقاحة إلى حد أنهم يفتخرون بالمعاصى ، ويجاهرون بها بلا خجل أو حياء . ولو رجعت الى الأصل فى ذلك ، لوجدته فى عدم تربية النشء من الصغر ، تربية دينية أخلاقية . فالدين يهذب النفس ويربى الأخلاق الكريمة ، ويعود المرء من صغره على احترام الواجب الدينى والدنيوى ويسمو به عن الفحشاء والمنكر . ولكن شباننا اليوم ، ويا للأسف يشربون الخمور ويتعاطون الحشيش . ويفتخرون برفيقاتهم وصويحباتهم . !! فمن أين ننتظر من هؤلاء أن يكونوا أسراً ويعمروا بيوتاً ؟؟! فانت ترى أن انحطاط الأخلاق فى الشبان ، وتفريط الرقابة على النساء ، ساعد على انتشار الفسوق والفجر والاتصالات غير الشريفة ، وهذا سر كبير فى عدم إقبال الشبان على الزواج إذ أن اتصال البنات بهم أفقدهم الثقة من جهة ، وحبب إلى الشبان هذا الاتصال غير الشريف ، الذى لا يكلفه النفقات الزوجية والارتباطات الوثيقة به

ومما ساعد على أزمة الزواج أيضاً ، ساقطات الافرنج من النساء ، فقد رحل الى القطر المصرى كثير فى أيام الحرب وبعد الحرب ، واندس من بينهم كثير من الساقطات المتاجرات بعرضهن ، وهن يتصيدن الشبان بشتى الوسائل ، وبفضلهن أعرض كثير من شبان هذا العصر عن الزواج ، اكتفاء باتصاله بأمثال هؤلاء الساقطات ، وما أكثرهن فى البنسيونات اسما والمواخير للفساد والفجور حقيقة

سألت شاباً متعلماً لماذا لا تتزوج ، وتكون رب أسرة ؟؟ فاجابنى إن بنات اليوم لا يهمهن إلا الظهور والزينة ، وهذا يكلف كثيراً ، وإن عندى كل يوم من بنات الافرنج ونسائهم من كل جنس ، ما يغنينى عن تحمل متاعب الزواج ومسؤوليته . وهذا مثل من أمثاله من الشبان غير القليلين ، أى أننا لا نعد هذا شاذاً ، بل إنى أعده نموذجا يعبر عن حالة سائدة كثيراً بين الشبان .

وإن انتشار التعليم يعطل الزواج كثيراً . فالشباب الذى يريد أن يأخذ قسطاً وافراً من التعليم ، لا يمكنه أن يتزوج قبل إتمام دراسته . وهذه تحتاج الى سنين طويلة ، تستنفد أكثر من نصف عمره . فاذا قدرنا أنه يلتحق بالمدارس الابتدائية وعمره ٧ سنوات ، يحتاج إلى أربع سنوات ابتدائى وخمسة بالثانوى وسنة تحضيرية بالجامعة ، وخمسة بالعالى ، وسنتان للتخصص أو إرسالية . ولعله يرسب بضع سنوات فى بعض هذه المراحل ، فيحتاج الى نحو سنة للتعليم والاستعداد ، لأن يشق لنفسه طريقاً فى الحياة ، ويكون له مركزاً ، ثم يحتاج الى بضع سنوات حتى يستقر مركزه ، ويبـدأ فى التفكير فى الزواج ، ولا يكون عمره فى هذه الحالة يقل عن ٣٠ سنة إن لم يكن أكثر .

ومحال أن نصدق أن شاباً يبلغ هذا العمر وهو معتصم بالطهارة والعفة ، ما لم يكن ذا دين وأخلاق عالية ، ونفس شريفة ، ما دام الاختلاط الجنسى موجوداً وما دام متصيدى الافرنج من الساقطات كثيرات بيننا . ولذا تجده حين يصل الى مسألة الزواج فى الوقت المناسب لا يهتم بها كثيراً ، يشجعه على ذلك ماراه وما سمعه من بؤس المتزوجين وشكواهم مما يصيبهم من إرهاق أزواجهم لهم ، فيما يختص بالمظهر والزينة والحرية والخلاعة وغيرها ويشجعه أيضاً على عدم الزواج قلة دينه ونقص تربيته الاخلاقية ، ويشجعه أيضاً على عدم الزواج ما شاهده بنفسه فى بنات جنسه ، من خلاعة وتهتك ، واتصال غير شريف كما وضحت سابقاً

وأنا لا أتكلم عن العاجزين عن الزواج لضعف فى ماليتهم أو صحتهم . وانما أتكلم عن القادرين منهم ، الذين لا يمنعهم بالمرة الا خور العزيمة والاستهتار ، وقلة الدين ، وانحطاط فى الاخلاق . فأنت ترى مما تقدم ، السر فى أزمة الزواج كما خبرته من الحياة العملية . ومما تقدم تستطيع أن تدرك وسائل العلاج لتلافى هذه الأخطار ، وهذه تستنتج بسهولة مما تقدم شرحه .

(١) الاعتناء بتربية النشء تربية دينية أخلاقية فان الأخلاق أساس الرقي والعمران ومن لا دين له فهو بعيد عن الاستقامة ، ولا خير فيه ، بل هو الأباحى الذى فقد الحياة والمروءة والنخوة ، والذى نعده بلاء على أمته .

(٢) تشديد الرقابة على البنات والنساء فى الخروج الى الأسواق والزيارات ونحوها مما يساعدها على قضاء مآربها السافلة

(٣) تشديد الرقابة على البنسيونات

(٤) عمل تحرى دقيق عن البيوت السرية ، ومعاقبة من يضبط فيها من نساء ورجال ومن قانون صارم لذلك .

(٥) الغاء الزنا المباح بتاتاً ، وعدم اعطاء رخص ، وابقاء الساقطات الآن حتى تنتهى أعمارهن أو يحترفن حرفة شريفة .

عبد العزيز قاسم

رد السيد محمد الغنيمى التفتازانى

١ — إن أسباب أزمة الزواج ترجع إلى عوامل كثيرة ، أهمها نزعة الشباب الى معيشة اللهو ، ومغالاة الناس فى المهور ، وانعدام التربية الدينية فى البيوت ، حتى أصبح من السهل على الشاب أن يجد الفتاة حيث شاء ، إذ لا وازع له من دينه عن المضى فى الفسوق ولا وازع لها من دينها كذلك .

٢ — أما نتيجة هذه الأزمة فستكون بلا شك خطرة على تكوين الأسرة ، وستجعل سوق الفسوق رائجة بين الجنسين .

٣ — أما رأيى فى الزواج فهو أن يتخير الشاب فتاة من بيئة كبيئته ، ووسط كوسطه فلا تكون أغنى منه ، ولا أكثر منه تعليما وثقافة . ويكفى أن تكون لائقة له تمام اللياقة .

٤ — إن الزواج هو الواسطة الوحيدة لسعادة البشرية ، ويجب أن يكون الغرض الأسمى للشباب ، وللوصول إلى حل عقدته فى مصر ، يجب الرجوع الى التعاليم الدينية فى الخطبة ، وتقدير المهر ، ورؤية الخطيب لوجه خطيبته ويديها ، وعلى كل حال فان الشرع الشريف لم يدع نقصاً فى هذا الباب إلا أتمه ؟

محمد الغنيمى التفتازانى

رد الأستاذ محمد وهبى

معنى أزمة الزواج ، أنه ثم أفراد من الجنسين ، قد جاوزوا السن التى كانت تعتبر منذ عهد قريب مناسبة للزواج . فكانت الفتاة تتزوج وهى دون السادسة عشرة ، فاذا هى جاوزت هذه السن دون أن تخطب ، عد بقاؤها عيبا كبيرا . وكان الفتى أيضا يتزوج فى سن مبكرة ، ولو أنه كان يصح أن يكون أكبر من الفتاة بعدة سنين ، كأن تكون الفتاة فى الرابعة عشرة والفتى فى الثامنة عشرة . وكانت العائلة هى التى تفكر فى تزويج أولادها ، فلا رأى للفتى ولا رأى للفتاة ، وإنما المرجع الأول والأخير للعائلة . وكان الفتى لا يفترق عن أهله اذا تزوج ، بل يظل يعيش مع أهله تحت سقف واحد ، غاية ماهنا لك أن عائلته قد انضم اليها فرد آخر هى زوجته ، فتصبح الزوجة فرداً من أفراد العائلة . ولم يكن الفتى أو الفتاة ليبدى أى اعتراض ، بل كان ينزل على إرادة أهله دون تململ ، فالعائلة هى التى تنظر فى جميع شئونه والمسئولية ملقاة على عاتقها ، فهو طفل كبير اذا تزوج ، ويظل طفلا كبيرا حتى يرث أهله ، ويستقل بقية حياته .

وكان الحصول على العيش سهلا ، فالأغلبية كانت تورث أولادها حرفها وصناعاتها ، كما تورثها أموالها ، وكانت الأمية منتشرة والتعليم ضيق النطاق محصورا ، وكانت التعاليم الدينية منتشرة ، ومنها أن من تزوج فقد كمل نصف دينه ، وكانت فكرة تخليد الذكرى بالخلف شائعة إذ لم يكن الشعب يدرك حينذاك أنه ثم وسائل أخرى لتخليد الذكرى اسمى بكثير من مجرد النسل ، إذ البهائم تتناسل . فلو راعينا فضلا عن ذلك تلك الغريزة الجنسية التى تلح وتلحف وترهق الأعصاب إذا لم تجد منفذا يخفف وطأتها ، وراعينا ما يرتبط بها من اللذة ، أدركنا لماذا كان الزواج رائجا .

فلنلق الآن نظرة على المجتمع المصرى . هل تطور ؟ لا شك فى ذلك . فقد اتسع نطاق التعليم ودخل فى دائرته الذكر والأنثى ، واستقل الفتى برأيه ، ولم يعد يخضع لرأى عائلته ، واستقلت الفتاة المتعلمة برأيها كذلك ، فلم تعد ترضى بالزوج الذى تختاره لها عائلتها ، وطمحت هى الأخرى الى الحياة المستقلة ، فكان هذا الخطوة الأولى التى أجلت سن الزواج عند الفتى وعند الفتاة المتعلمين ، إذ أخذ كلاهما يبنى صرح آماله وأحلامه ، ويبحث عن ضالته ومثله

الأعلى ، ويفكر في المستقبل ، وفي تربية الأطفال وإعدادهم للحياة الاجتماعية المقبلة ، وما يمكن أن يلزم لذلك من المال ، ويقدر كل شيء تقديراً دقيقا ، ويستشعر ثقل المسئولية ، اذا هو خطا خطوة جدية ، فيؤجل سن الزواج حتى يتوطد مركزه . ويبلغ الثلاثين ولا يزال مركزه مزعزعا يخشى عليه من عواصف الحياة ، فيخشى الاقدام ويخاف التبعات ، فيؤجل سن الزواج حتى يبلغ الخامسة والثلاثين بل الأربعين . ينظر فيرى الحياة قد زادت تعقداً ، وباب الرزق قد زاد ضيقا ، وحاجات البدن والعقل والنفس قد تكاثرت ، والحالة الاقتصادية قد ساءت . وازدادت سوءا ، فالحاجيات قد ارتفعت أسعارها ، وصعب الحصول عليها ، فيفكر في تحديد النسل اذا تزوج ، وقد تشبع بالأفكار الغربية

ثم ينظر فيرى أنه لم يظل بعيدا منذ بلوغه عن الجنس الآخر ، بل حاول الاتصال به وتمتع بالحب حينا ، واستطاع أن يقضي لبانته من دون خوف من مرض ، إذ تعلم الوقاية ، فحكم على المرأة بأنها فاسدة ، اذ لم يجد منها ممانعة ولم يدرك أن فسادها مرتبط بفساده ارتباطا وثيقا ، وارتاب هل يمكنه أن يطمئن الى امرأة يتخذها زوجة ، ألا تخونه كما خان أزواجهن اللاتي خضعن له واجتمعن به اجتماعا غير شرعي ؟ ! فاذا اطمأن لواحدة معتقداً أن فساد البعض ليس دليلا على فساد البعض الآخر ، وأقدم على الزواج ، اصطدم بعادات وتقاليد لا تزال قائمة ، وما يرتبط بها من مهر ونفقات وشروط مرهقة !

وتنظر الفتاة فتراها قادرة على الكسب ، فهي إذن في غنى عن الرجل ولو لبضع سنين . بعد العشرين تتطلع الى فتى تتوفر فيه شروط وضعتها نصب عينيها ، وهي في هذه الأثناء لا تجد غضاضة في الاتصال بالفتيان ، تستبيح لنفسها ما كان بالامس عليها محرما . ألا يغض الطرف عن سلوك الفتى ؟ أليسا هما الآن على قدم المساواة ؟ أهي أقل منه علما أو أرفع منزلة ؟ كلا ! فاذن يحق لها أن تفعل ما يفعله الرجل سواء بسواء . يحق لها اذا تزوجت ان تحتفظ بمركزها في الهيئة الاجتماعية . ولكن بعض الرجال يعز عليهم أن يتنازلوا عن سلطة كانت لهم بالأمس . يعز عليهم أن يجدوا ميول الأنثى آخذة في الاقتراب من ميول الذكر !

هذا في الطبقات المتوسطة . ولا مندوحة عن مراعاة تقسيم الطبقات حسب الثروة الى حد بعيد ، اذ الثروة تعين اتجاهات الأفراد في الحياة المستقبلة . فالفلاحون والعمال وهم الأغلبية لا يزالون كما كانوا منذ عهد بعيد في مستوى لا يرتفع عن مستوى البهائم الا قليلا ، لم تتغير

عقليتهم ولا أحوالهم، فالأزمة عندهم محدودة ومرتبطة بالأزمة الاقتصادية الراهنة ، اذ الفقر المرتبط بالجهل لا يمنعهم من التزاوج . بل إن التزاوج والتناسل الكثير مرتبط ارتباطا وثيقا بالفقر المدقع والجهل المطبق ، فالأولاد كالديدان، عليها أن تبحث عن رزقها ، بل رزق أهلها فى الشوارع والأزقة والحارات ، وعليها أن تستجدى وتتسول وتجمع أعقاب السجاير ليل نهار ، لا يعرفون غير الارصفة فراشا يفترشونها ، وغير السماء لحافا يلتحفون بها !

أما الطبقة العالية العريقة فى الحسب والنسب، صاحبة الحول والطول والمال، فان مجال الاستمتاع عندها متسع ، وضروب اللهو والمرح واللذة متعددة متباينة ممكنة . سواء أكان أفرادها متزوجين أو غير متزوجين . لا تؤثر الأزمة الاقتصادية فى مواردها، إلا أثرا يكاد يكون غير محسوس بالنسبة للمعيشة ومستواها ، فان ما يتبقى يزيد كثيرا عما يكفى الحاجات المادية والعقلية والنفسية ، فلا قلق اذن ولا اضطراب ولا خوف ولا تقدير دقيق لما يمكن أن يطرأ من الحادثات . كما أن كل ما يقلق الطبقة المتوسطة من وجهة حرية المرأة وادراكها لها ، ورغبتها فى التكسب ، ومن الوجوه الأخرى التى قدمنا ، لا يقلق الطبقة العالية لأن المرأة فيها لا تحاول أن تكسب قوتها بعرق جبينها ، اذ ثروتها كفيلة بسد حاجياتها وكمالاتها كما أن ثروتها تضمن لها استقلالها وهى زوجة . فالأزمة اذن فى الطبقة العالية غير محسوسة والشبان منها الذين أجلوا سن الزواج ، لا غرض لهم الا التخلص من الروابط الزوجية التى تقلل من استهتارهم وتلفتهم دائما الى واجباتهم

والآن بعد استقصاء الأسباب التى نراها داعية الى تأخير سن الزواج وبالتالى الى إحداث الازمة نحاول أن نصف العلاج .

العـلاج

ليس الغرض أن نشجع الزواج المؤقت ، أعنى الزواج الذى يؤدى إلى الانفصال السريع ، وانما القصد أن تدوم العلاقة الزوجية طول حياة الزوجية ، فلا يفصل بينهما غير الموت فى معظم الحالات . وهذا ما يجب أن نضعه نصب أعيننا وإلا كان الزواج الذى يعقبه الانفصال الارادى السريع أسوأ من البقاء من دون زواج ، لاسيما اذا نظرنا الى الخلف الذى يفقد المعونة والحب اللازمين اللذين لا يتوفران توفراً صحيحاً الا فى العائلة . ومن ناحية أخرى فالانفصال السريع دليل على أنه ثمة داء دفين ، الأولى أن نعالجه حتى تدوم العلاقات الطيبة

بين الأزواج فيكون المجتمع ثابتا موطد الأركان ، مادامت العائلة أساس المجتمع .

ونقصد بمعنى آخر ، أن قيمة الزواج يجب ألا تقدر بنسبة الأقبال عليه ، وانما بنسبة المحافظة على العائلة ، وعدم محاولة هدم كيانها . ويجب أن نذكر هنا أنه من المستحيل أن نطلب بقاء العلاقات الزوجية قائمة طول حياة الزوجين ، حتى يفصل الموت بينهما ، فانه ثم حالات يجب الفصل فيها بينهما سريعا قبل أن يقوم الموت بدوره . وقد ذكرنا هذا حتى لايتسرب الى الأذهان أنا نريد ونحبذ بقاء العلاقات ودوامها حتى ولو كان الشقاء سائدا ، اذ الطلاق فى هذه الحالة أخف وطأة من الشقاء الذى تكون المحاولات قد فشلت فى القضاء عليه وإحلال الهناء محله .

فاذا حاولنا وصف العلاج فاننا نحاول على الأساس الذى قدمنا .

فهل يمكن إذن على هـذا الأساس أن نشجع الجنسين فى حالتنا الاجتماعية الراهنـة على التزاوج ؟

اذا كانت الأزمة ناشئة من الأزمة الاقتصادية ، فالعلاج فى عودة الرخاء الاقتصادى وهذا مرتبط بأحوال مصر الخاصة من هذه الناحية وبأحوال العالم على وجه العموم . وتكون أزمة الزواج إذن أزمة طارئة تنفرج سريعا .

وإنما أسباب الأزمة الاجتماعية هى التى تتطلب التفكير الدقيق ، وتقليب المسألة على وجوهها المتعددة ، واجراء التجارب المختلفة . حتى نعرف مدى نجاح كل تجربة ، كالطبيب أمام مرض لم يدرس بتاتا ، أو درس دراسة ناقصة فان مهمته شاقة تدفعه الى التجارب فى حذر وحيطة ، مجربا العلاجات المختلفة ، ملاحظا تأثيرها فى الجسم المريض أو العقل المريض . وكذلك الاجتماعى ، فلابد له من درس المجتمع المصرى دراسة دقيقة ، ومقارنته بالمجتمعات الأخرى والسابقة ، حتى يستطيع أن يصف الدواء الناجع . وعلى الأفراد أن يجربوا العلاج ، وعلى الحكومة أيضا أن تعين على التجارب إذا كانت غير ممكنة الا بالقوانين . فباتباع ذلك يمكن أن نعرف أى علاج أنفع للمجتمع المصرى المريض ، حتى يقوى ويشتد ، فمثلا يبحث الاجتماعى مسألة تحديد النسل من جميع الوجوه ، مادام الجنسان يفكران الآن فى تربية الأولاد تربية تامة صالحة ، وهذا لايتأتى الا مع النسل القليل فى العائلة الواحدة ، ويدرس الى أى حد يمكن أن تنتشر الفكرة فى المجتمع المصرى ، وأن يتقبلها راضيا ، وأن ينفذها تنفيذ

العارف الخبير ، لا الجاهل المتحير ، الذى يجر بجهله عواقب وخيمة . ويستطيع أيضا أن يبحث مسألة اشتغال المرأة خارج المنزل لكسب قوتها ، كما يشتغل الرجل . ويفحص إن كان ممكنا أن يوفق بين ماتتطلبه الحياة الزوجية ، وما يستدعيه ابتعادها عن المنزل ساعات كثيرة ، أم إن الأمر يتطلب فى النهاية ، إن كان لا بد من عمل المرأة خارج البيت تعديل الحياة الاجتماعية من ناحية تربية الأولاد تربية غير عائلية ، مادام الزوجان يتغيبان عن المنزل طول النهار .

ويمكنه أيضا أن يدرس العادات والتقاليد المرعية عند الزواج فى مصر ، وما يرتبط به من مهر وغيره ، حتى يعرف مدى تأثيرها ، واتصالها بالأزمة ، فى وقت انتشر فيه التعليم وتفتحت الأذهان ، وارتقى مستوى المعيشة وأدرك الناس أن جوهر الزواج ليس مهرا وأثاثا ، ثم ينبه الحكومة الى تعديل العادات والتقاليد بالقوانين ، مادامت قائمة لم تتعدل ، أولم تتطور تطوراً ملائماً ، بالرغم من اكتساب عادات وتقاليد جديدة قائمة بجانبها .

ويستطيع أن يدرس مسألة البغاء الرسمى والسرى ، ويفحصها من جميع الوجوه حتى يتبين له مدى تأثيرها فى إحجام الشبان عن الزواج ، مادام فى مكنتهم أن يتصلوا بالنساء اتصالا سهلا مؤقتا لا تبعة فيه .

ويمكنه أيضا أن يدرس مركز المرأة الحالى ، وارتقاء عقليتها ومدى فهمها للحرية والزوجية وعما اذا كان فهمها للحرية مطابقا لسنن الطبيعة والاجتماع ، أم إنها حرية متطرفة نشأت عن أسر وذل فى البيوت أجيالا عديدة .

ويستطيع أن يدرس نفسية الشاب ، وتطور رغبته ومقدار فهمه للعلاقات الزوجية وتقديره اياها ، حتى يمكن أن يرشده وأن ينير له السبيل

ويمكنه غير ذلك ، اذ البحث متشعب النواحى ، معقد لا يمكن أن يقتضب ويحصر فى صفحات محدودة ، فالواجب قبل كل شىء ، التوفر على الدراسات الاجتماعية ، وتطبيقها على المجتمع المصرى ، كما حاولت أن أبينه فيما قدمت ؟

محمد وهبى

نظرات

بقلم الأديب اللبنانى

جورج نقولا عطية

لا فرق بينهما

المريض هو رجل بسمت له الحظوظ فنال منصباً ، وتكاثرت معارفه ، إذ الناس طبعاً يكونون دائماً « مع الواقف » كقول العامة أى مع من يثرى ، فينال العز والجاه والجبروت .

ما هى هذه الجماعات المتلاطمة فى منزل ذاك المريض « الواقف » ؟ الأطباء ، الصيادلة ، رؤساء الكهنة ، العشارون ، الفريسيون ، الحمالون ، العمال ، المحيط كله من نساء ، ورجال وعجائز وأطفال ، تفقدوا صحته الغالية ، ودعوا لدولته بالشفاء . ولكن من هو هذا المريض الثانى ؟

فقير معدم « وصاحب عيال » مرض فلم يقل له أحد من الناس « كيف حالك يا ابن آدم » !

أين هى تلك الجماعات الزاخرة ؟

أين هو رجل [illegible] (طبيب الروح ؟) ، ورجل الدنيا (طبيب الجسد ؟) ولماذا هذان لا يعودان الفقير ؟

هو المريض الغنى يدفع لهما أجراً وافراً ؟ فى بعض الأحيان لا يدفع لهما شيئاً ، ولكنهما يفضلانه على الفقير الذى يدفع من دراهم له جمعها بقطرات الدماء . ويقولون مع هذا بأن الديمقراطية سادت جميع الطبقات (لربما زادتها قتماً وسواداً)

التوسع :

كل العلوم لا قرار لها

يطلب الفيلسوف واللغوى العلامة والبحاثة ، التوسع فى علم من العلوم ، فيعود الى الوراء كلما حاول التقدم الى الأمام . والفيلسوف الرازى يأتيك ببرهان ساطع فيقول :

نهاية إدراك العقول عقال وغاية سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه : قيل وقالوا

راجع كتب النحو والصرف ، ومعاجم اللغة ، وما فيها من هوامش ومشروحات ، ومناقضات، ترى بأن تلك المجلدات لا تحوى الا عبارات : قال سيبويه ، ويقول ابن عبد ربه ، وينسب هذا الشرح الى فلان ، ويناقضه فلان . فأئمة اللغة وفطاحلها عجزوا عن ادراك نهاية كل قاعدة . حتى أن أحد اللغويين المدققين صرح عند موته قائلا : أموت بدون أن أتوصل الى مواقع حرف « حتى » فى حالتى الرفع والنصب وما يليهما ، وفى هذا العالم أيضاً ، لاحد لمطامع بنى الانسان فى التبسط والتوسع وما شابه .

الأقوياء :

هوذا شاب يتثاقل فى مشيته كأنه ابن تسعين ، كسول ، خامل ، ضعيف الهمة ، وهو ذا شيخ يمشى بسرعة البرق ، كأنه ابن عشرين ، نشيط ، عبقرى ، واسع المدارك ، بعيد الهمة ، فما هو السبب يا ترى ؟

شب ذلك الشاب متكلا على غيره ، وشب الشيخ متكلا على ساعده ، وهنا السر .

وفى الجسم نفس لا تشيب لشيبه ولو أن ما فى الوجه منه حراب

فالجسم وإن أثرت عليه متاعب الحياة وزوابع الحظوظ ، وعواصف الاضطهادات وحوادث الأقدار ، يبقى ثابتاً فى وضعيته ، فيما إذا كان الانسان جلوداً حكيما نشيطاً .

يقولون : العقل الصحيح فى الجسم الصحيح « وهذا قول يكاد يكون مأثوراً ، ولكن لكل قاعدة شواذ » .

ولهذا نرى رجالا سليمى العقول ، ولكن خاملى الأجسام ، ونرى أيضاً رجالا مختلى الشعور ولكن أقوياء الأجسام .

فاجتهد كى تجعل جسمك نشيطاً قوياً ليكون لك على الأقل عقل شبه سليم ، إذ العقل بكل نواحيه لا يستقر فى رأس أى إنسان كان ؟

جورج نقولا عطية

المدنية الاسلامية
وأثرهـــــا فى أوربا

للأديب الأفغانى محمد سعيد بخت ولى

إذا ما راجع الانسان صفحات الماضى ، وبحث عما كانت عليه الأمم الأوربية حين ظهر الاسلام لألفى الحريات مكبوتة ، ومصابيح العقول المستنيرة خابئة . ليس فيها بصيص من نور يهدى سواء السبيل .

ومما لا مشاحة فيه . أن الضغط السالف الذى كان منشأه الكنيسة الرومانية فى القرون الوسطى . وهو تحريم كل فكر جديد أو علم مستحدث . وإنشاؤها محاكم للتفتيش فى أسبانيا وغيرها لمعاقبة الخارجين عليها . كل ذلك كان سبباً فى إذكاء نار العداء بين قادة الفكر ورجال الدين الذين أخذوا يفرضون قانونهم على كل فرد . وهذا القانون ممثل فى كلمة (اعتقد وأنت أعمى !) . تلك الكلمة التى سيطرت على ربوع أوروبا . وبات كل واحد يرسف فى أصفادها .

فمن هذه الكلمة، يستطيع الانسان أن يعرف مقدار الحضارة الأوربية ، التى كانت تتمثل فى المدنية الرومانية وقتئذ ، والتى تحدث عنها (لاروس) فى دائرة معارفه الفرنسية حيث قال : « ماذا كانت أنظمة الرومان على وجه الأجمال ؟ كانت عين الوحشية والقسوة مرتبة فى صور قوانين . أما من جهة فضائل روما ، مثل الشجاعة والتبصر والاخلاص المطلق للجماعة ، فهى بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص . أما وطنيتها فكانت مكتسية لباس الوحشية . فكانت لا يرى فيها إلا ثمرها مفرطاً للمال . وحقداً على الأجنبي وضياعا لاحساس الشفقة الانسانية الخ ... »

هذه هى مدينة روما ، التى كانت تمثل الحضارة الغربية ، فى ذلك العصر . وهذه هى الحال التى كانت تسود أفرادها . بينما كان الاسلام فى بطن الجزيرة وليداً

*
* *

ظهر الاسلام بتعاليم لها أثرها فى الحياة التى يود كل امرىء أن يحياها ، جاء طامسا لكلمة (اعتقد وأنت أعمى) فقال : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وإلى السماء

كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » ونشر مبدأ المساواة فلم يجعل بين الغنى والفقير ، والأمير والحقير تباينا فى الحقوق ، وألف بين القلوب فقال: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ولم يكتف عند ذلك بل أراد أن ينبه الملوك والحكام ومن له الأمر بأنهم مسئولون أمام الله عن رعاياهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » بهذه القوانين الثابتة نشر مبدأ المساواة الطبيعية التى تحدث عنها الفيلسوف (كندرسيه) بقوله « المساواة الطبيعية لبنى الانسان هى القاعدة الأولى لمعرفة حقوقهم ، وهى أساس كل الأخلاق الحميدة »

جاء الأسلام والمسيطرون على العالم فى ذلك الزمن، يصيحون فى وجوه رعاياهم قائلين: « اطفئوا نور العقل ، اطمسوا عين البصيرة ، فان الدين ينافى العقل وقوانينه ، فصاح الاسلام بقوله : « الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له . » وبينما كان رجال الكنيسة يقولون بأن « العلم هو الشجرة الملعونة التى تقتل بثمارها بنى آدم » كان رسول الاسلام يقول : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم . »

*
* *

استطاع الاسلام أن يكون أمة من عدم ، وينشىء امبراطورية هائلة من لا شىء ، وكان أن أوجد مدنية خالدة ، انتفع بها القاصى والدانى ، وذلك بفضل قوانينه العالية المذكورة فى سفره الأعظم « القرآن الكريم » الذى قال فيه القس رودويل :

« يجب الاعتراف بأن القرآن جدير بالاهتمام ، لما حواه من النظريات العالية، والارشادات القيمة، فهو الروح الذى غير تلك الأمة الجاهلة، الى أمة ذات مدنية زاهرة، بسطت جناحيها على منطقة تحد غربا بآسيا ، وشرقا بحدود الهند . فقد انقلب الرعاة البسطاء ما بين طرفة عين الى مؤسسى امبراطورية عظيمة ، مرصعة بالمدن الكبرى . وهم الذين جمعوا المكاتب القيمة . وهل من ينكر العظمة التى وصلت اليها الفسطاط . وبغداد وقرطبة ودلهى ؟ الى أن قال : ويجب أن لا تنسى أوربا أنها مدينة لهذا الكتاب ، ولهذا النبى بشمس العلم التى أطلت على أرجائها فقشعت ظلمات القرون الوسطى الخ . . . »

وقد تمكن الأسلام بفضل مبادئه التى وجدت المكان الرحب من النفوس أن ينتشر انتشاراً عظيما فى جميع الأقطار والأمصار التى توجه اليها . وقد بدأت تتجلى المدنية الاسلامية ، فى أيام الخلفاء الراشدين ، وأخذت تنمو فى عصر الأمويين ، حتى بلغت أوجها فى زمن العباسيين ، ودولة الأمويين الثانية . فكانت بغداد والأندلس هما المكانان العظيمان اللذان ازدهرت فيهما المدنية الاسلامية بأجلى معانيها . فمن بغداد انتشرت المدنية الى فارس وغيرها من الأقطار الشرقية ، ومن الأندلس ذهبت الى أوربا وغيرها من الأمصار الغربية .

*
* *

قال درابر الامريكى : بعد أن وسع العرب ملكهم وأيدوا كلمتهم ، حولوا أفكارهم نحو المعارف والعلوم ، فامتازوا فيها ، وبرزوا على معاصريهم ، إذ كان من مبدئهم أن يرقبوا ويمتحنوا وقد حسبوا الهندسة والعلوم الرياضية وسائط للقياس ، ومما يجدر بالذكر أنهم لم يعتمدوا فيما كتبوه فى الميكانيكيات والسائلات والبصريات على مجرد النظر ، بل على المراقبة والامتحان بواسطة الآلات ، وذلك ماصيرهم مبتدعى الكيمياء ، وقادهم لاختراع أدوات التصفية والتنجير ، ورفع الأثقال ، ودعاهم الى استعمال الربع ، والأصطرلابات فى علم الهيئة واستخدام الموازنة فى الكيمياء ، مما اختصوا به دون سواهم ، وإلى صنع جداول للجاذبية النوعية فى علم الهيئة . كالتى اصطنعت فى بغداد والأندلس ، وسمرقند ، وجعلهم يوجدون أيضا تحسينات عظيمة فى قضايا الهندسة ، وحساب المثلثات ، واختراع الجبر واستعمال الأرقام العديدة فى الحساب ، وكان هذا كله من نتائج استعمالهم طريقة الاستدلال والامتحان . ولم يقرروا فى علم الهيئة لوائح فقط ، بل رسموا خرائط النجوم المنظورة فى فلكهم أيضاً ، مطلقين على ذوات القدر الأعظم ، أسماء عربية لا تزال ترد على كراتنا الفلكية . وقد عرفوا حجم الأرض بقياس درجة سطحها ، وعينوا الكسوف والخسوف ، ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة . وقرروا طول السنة ، وأدركوا الاعتدالين ، ولاحظوا أشياء بعثت نوراً باهراً على نظام العالم . واختص علماء الفلك من العرب باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة ، وكانوا السابقين فى استعمال الساعة الدقاقة . وانشأوا العلوم العملية ' علم الـ[illegible] ، واكتشفوا بعض أجزائه كحامض الكبرتيك وحامض النتريك

والكحول . الى أن قال : والذى يدهش كثيراً أن نتصور أشياء ونفتخر أنها من مواليد عصرنا ، ثم لا نلبث أن نراهم سبقونا اليه الخ . . . »

نستخلص من هذه الشهادة التى شهد بها العلامة درابر مقدار ما بلغته المدنية الاسلامية من السمو والرفعة . فقد كان للعلماء والمؤرخين ، والشعراء والأدباء فى الأندلس مجامع علمية وأدبية ، أشبه بالمجامع الأوربية فى هذا العصر . وذلك لنشر العلوم والمعارف ومداولة الحكمة بينهم ، فنتج من اجتماعهم فوائد جليلة للعلم والمدنية .

وقد ذكر المؤرخون أن ملوك غرناطة ، فرضوا جوائز للمخترعين لينشطوهم ، ويلقوا المنافسة بينهم ، وربما ميزوهم بامتيازات خاصة . وقد اشتهر علماء العرب بالعناية التامة فى العلوم المادية ، وبرزوا فيها حتى ظهر فيهم أئمة عظماء . فمنهم من كان يؤلف العشرة أو العشرين مجلداً فى علم واحد ، كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس . فقد ألف كتابه فى ستين مجلداً ، وألف أحمد بن أبان كتاب السماء والعالم فى مائة مجلد ، ابتدأه بالفلك وختمه بالذرة .

وها كم الفارابى ، وابن رشد ، وابن سينا الذين تفتخر المدنية الاسلامية بهم وبأمثالهم قد امتازوا بسعة معلوماتهم ، واستيعابهم لأشتات المعارف العامة . فان الفارابى مثلا كان فيلسوفا وطبيباً ورياضياً وموسيقياً بارعاً . وكان ابن رشد فيلسوفاً ، وطبيباً ، ورياضياً ، ومتقناً لجميع العلوم التى عرفها العرب فى عصره ، ملماً بما كتبه اليونان والهنود والفرس ، وابن سينا كان فيلسوفاً ماهراً وطبيباً نطاسياً ، وله مؤلفات عظيمة هى العمدة فى الطب الأوربى الحديث .

وقد برع العرب فى الطب براعة عظيمة ، وتفوقوا على أمم الأرض قاطبة . ويحق للعالم أجمع أن يلقبهم بآلهة الطب فى عصرهم ، ولا تزال أبحاث ابن سينا موضع الاعتبار والبحث العميق فى الطب الحديث .

محمد سعيد بخت ولى

(يتبع)

فلسفة الغزالى

للأستاذ حامد عبد القادر
المدرس بالمدرسة الخديوية الثانوية

ربط هذا المقال بالمقال السابق — وصف مختصر لحياة الغزالى العقلية — أهم مصدر معرفتنا بتطور حياته العلمية — كتاب المنقذ من الضلال — أطوار حياته العقلية — دواعى اشتغاله بالفلسفة — مصدر آرائه الفلسفية — الغرض من ابحاثه الفلسفية

١ لعلك تذكر ما كتبناه فى مقال سابق عن تاريخ حياة الغزالى ، وما ذكرناه من وصف الظروف التى كانت تحدق به ، لاسيما الظروف السياسية والاجتماعية ، وانك لو تصفحت ماذكرناه عن تاريخ حياة الرجل لوصلت الى نتيجة حاسمة واضحة ، تلك هى أن حياته كانت حياة تقلب وتطور وجد ونشاط عقلى مستمر . ولنبين لك بالاضافة الى ذلك أن أطوار تلك العقلية الجبارة ، تكاد تنحصر فى ستة أطوار من السهل تسميتها وتحديدها ولو بالتقريب

٢ وقبل أن أورد عليك تلك الاطوار ، أود أن أذكر لك أن الفضل فى معرفتها يرجع إلى الغزالى نفسه ، وأننا لو حاولنا ، مهما حاولنا أن نصور لك عقليته الفذة ، ونصف لك نشاطه الخارج عن العادة ، لما أمكننا أن نأتى بمثل ما أتى به . ذلك لغرابة حياته وتلوى نواحيها وغزارة انتاجه العقلى

ولعله قد أدرك وعورة المسلك وتبين له تشعب نواحيه فأراد أن يوفر على الناس ألم البحث ومشقة التنقيب فكشف لنا الغطاء عن أسرار حياته ، وأزال لنا النقاب عما خفى من عقليته

ولقد جمع ذلك كله فى سفر واحد صغير الحجم ، جليل القدر ، قليل المبنى ، غزير المعنى ، أعنى ذلك الكتيب المسمى (بالمنقذ من الضلال) والذى له من اسمه نصيب وأى نصيب

اقرأ هذا الكتاب ، ثم اقرأه تعثر فيه كل مرة تقرؤه على درر ثمينة ولآلىء مكنونة ، وتجده وحيداً فى بابه ، فانه من النوع الذى يسميه الاوربيون Autobiography ومعناه ترجمة الانسان لنفسه بنفسه ، ولم نعلم فيما نعلم ، أن أحداً من العلماء أو الفلاسفة من المسلمين دوّن تاريخ حياته ووصف تطوره العقلى بالطريقة التى اتبعها الغزالى فى هذا الكتاب

فمن المفيد جداً لمن يود الاحاطة بأطوار حياة الغزالى ، أن يقرأ هذا الكتاب ليتأكد من صحة ما أقول

٣ وأطوار حياة الغزالى الستة المشار اليها هى :

(١) الاعداد والتكوين (٢) الاشتغال بالتأليف والتدريس (٣) التشكك (٤) الاشتغال بالفلسفة والتصدى للفلاسفة (٥) الاضطراب والمرض العقلى والعزلة (٦) التصوف

أما الاطوار الثلاثة الاولى وكذلك الخامس فقد ذكرنا عنها فى المقال السابق ما يكفى ، وأما السادس فسنتكلم عنه إن شاء الله تعالى فى مقال آخر ، فلم يبق علينا الآن إلا أن نبحث فى الامر الرابع ، وهو الغرض الاساسى من هذا المقال ، أى الكلام على فلسفة الغزالى

٤ وانما دعا الغزالى للاشتغال بالفلسفة أسباب أهمها :

-١- رغبة صادقة فى حل المشكلات التى عرضت له ، فانه لما وقع فى حيرة من أمره ، وأدركه الشك فى عقائده ، ظن أنه لاخلاص له من هذا المأزق الا بتعلم الفلسفة ، علّه يجد فيها ما يشفى العلة ، وينقع الغلة ، ويبدد سحب الشكوك والاوهام

ولكن ربما نسأل كيف نشأ هذا الشك والغزالى قد تربى تربية صوفية دينية ، مثل كثير غيره من أبناء عصره ؟ سؤال جيد لا أقدر على الاجابة عليه بأحسن مما حكاه الغزالى عن نفسه حيث يقول :

« ولم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين ، أقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، وأتوغل فى كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأقتحم كل ورطة ، وأتفحص عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنياً الا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهرياً الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبداً إلا وأترصد مايرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقاً معطلا إلا وأتجسس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته »

« وقد كان التعطش الى إدراك حقائق الامور دأبى وديدنى ، من أول أمرى وريعان عمرى ، غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها فى جبلتى ، لا باختيارى وحيلتى ، حتى انحلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهدى بسن الصبا »(١)

(١) أنظر المنقذ من الضلال ص ٣ طبع مطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩

فعدم ميله إلى التقليد وسعة اطلاعه، وغزارة علمه بالمذاهب المختلفة المتضاربة فى مبادئها وعقائدها . كل هذه أفضت به الى التشكك حتى فى الحسيات[١] والضروريات وهذا التشكك حمله على التوسع فى البحث والاستزادة من الاطلاع

ـ ب ـ ولما توسع فى البحث وفهم آراء الفلاسفة ووقف على مقاصدهم، وتبين له فساد عقائدهم عن له أن يتصدى لبيان ما فيها من خطأ فاحش، ولكنه قبل أن يخطو هذه الخطوة رأى من الواجب عليه نحو نفسه أن يتثبت من أقوال الفلاسفة حق التثبت، ويعرف براهينهم وحججهم حق المعرفة، ليكون قادراً على مناهضة خصومه وقرع حججهم بمثلها

ولم يقف به الامر عند هـذا الحد بل انه ارتأى أن يؤلف المؤلفات فى مبادئ الفلاسفة وعقائدهم، حسبما يقررونها كى يوفر على القارئ مشقة الرجوع إلى كتبهم

وأشهر ما ألفه فى هذا الغرض كتاب «مقاصد الفلاسفة» وموضوع هذا الكتاب والغرض من تأليفه يظهر مما ذكره الامام الغزالى نفسه فى مقدمته حيث يقول :

« أما بعـد فانى التمست كلاماً شافياً فى الكشف عن تهافت الفلاسفة وتناقض آرائهم، ومكامن تلبيسهم واغوائهم، ولا مطمع فى اسعافك الا بعـد تعريفك مذهبهم، واعلامك معتقدهم، فان الوقوف على فساد المذاهب قبل الاحاطة بمداركها محال، بل هو رمى فى العماية والضلال، فرأيت أن أقدم على بيان تهافتهم كلاماً وجيزاً مشتملا على حكاية مقاصـدهم من علومهم المنطقية، والطبيعية، والالهية، من غير تمييز بين الحق والباطل . بل لا أقصد الا تفهيم غاية كلامهم من غير تطويل بذكر ما يجرى مجرى الحشو والزوائد الخارجة عن المقاصد، وأورده على سبيل الاقتصاص والحكاية مقروناً بما اعتقـدوه أدلة لهم ومقصود الكتاب حكاية (مقاصد الفلاسفة) وهو اسمه »[٢]

ومن ذلك ترى أن ما ذكره الغزالى فى هذا الكتاب لا يؤخذ حجة عليه، ولا يعتبر مصوراً لعقائده الفلسفية

ـ ج ـ ولقد كان لروح العصر أثر كبير فى تكوين عقليـة الغزالى وفى قيامه بتلك الحملة العنيفة التى قام بها ضد الفلاسفة

فالعصر كان عصر النفوذ التركى، والنفوذ التركى كان يصحبه دائماً تغلب المذهب السنى على

(١) المنقذ ص ٤ ، ٥ ، ٦ (٢) أنظر مقاصد الفلاسفة ص ٢ ، ٣

غيره من المذاهب الشيعية والاعتزالية ويصحبه تبعاً لذلك الخروج على الفلسفة وعلى الفلاسفة

ـ د ـ ولا أكاد أشك فى أن اتصال الغزالى بنظام الملك كان من الظروف التى شجعت الغزالى على المضى فى الطريق التى سلكها . إذ أن نظام الملك كان متعصباً للسنة والسنيين تعصباً أودى بحياته إذ أنه قتل بطعنة طعنها إياه أحد الحشاشين الذين هم احدى الطوائف الشيعية الاسماعلية

فلولا قيام الدولة السلجوقية ووجود نظام الملك فى الوزارة لما تسنى للغزالى أن يجاهر بآرائه المضادة لآراء الفلاسفة . ولما كان من السهل عليه أن يظهر فى المجتمعات والأندية ويتغلب على المنتمين الى المذاهب المعادية للمذهب الاشعرى

ومن يمكنه أن يجزم بأن الغزالى لو تقـدم به الزمان وظهر فى عصر البويهيين والسامانيين لسلك ذلك المسلك الذى سلـكه فى عصر السلجوقيين

فأنت ترى أن البيئة السياسية كان لها أثر كبير فى عقلية الغزالى على العموم وفى اشتغاله بالفلسفة على الخصوص

ـ هـ ـ على أن اضطراب الامور الاجتماعية فى ذلك العصر، وإقبال الناس على الدنيا وزخرفها وكثرة الالحاد والزندقة وتكوين الجمعيات السرية الفلسفية وغيرها المعادية للمذهب السنى وظهور طوائف الباطنية وعلى الاخص طائفـة الفدائيين « الحشاشين » الذين كانوا يتخذون كل مايمكنهم من وسائل الارهاب والسفسطة لقتل زعماء السنيين من الخلفاء والوزراء وغيرهم وللقضاء على المذهب السنى — أقول كل هذه الامور لابد أن تكون قد أوجدت فى نفس الغزالى حمية دينية ، فاختار لنفسه مركز المصلح الدينى ، فنهض نهضة مباركة ، وقام ينعى على الناس ضلالهم ويدعوهم إلى اتباع مذهبه الذى يقرب أن يكون المذهب الرسمى للدولة

ولم يكن فى نعيه هذا ولا فى دعوته تلك (دجماتياً) بل انه كان يقرع الحجة بمثلها ويحارب خصومه بنفس السلاح الذى سلحوه به أيام أن كان جندياً من جنودهم أعنى سلاح المنطق والجدل الذى أخذه عن الفلاسفة أنفسهم

فهو فى حملته هذه يذكرنا بالامام أبى الحسن الأشعرى (٢٦٠ — ٣٢٠) الذى نشأ معتزليا ولكنه لم يلبث أن خرج على أستاذه أبى على الجبـائى ، واعتزل مذهب المعتزلة ورجع الى مذهب أهل السنة ، وأسس المذهب المنسوب اليه وأخذ يدحض حجج حلفائه السابقين متبعاً فى ذلك الطريقة التى أخذها عنهم أى طريقة المنطق والجدل

٥ كل هذه الأسباب السابقة حملت الغزالى على أن يقوم بكل ما لديه من عزم وحزم، على تعلم الفلسفة، وقد بحث فوجد أن أصح مذاهب الفلاسفة ما نقله الفارابى وابن سينا عن ارسطاطاليس. وعن الفارابى وابن سينا يقول الغزالى «على أنه لم يقم بنقل علم ارسطاطاليس أحد من المتفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لايفهم، ومالا يفهم، كيف يرد أو يقبل» (١)

ومع أن الغزالى يعد «هذين الرجلين» أصح فلاسفة المسلمين نقلا عن ارسطاطاليس فاننا نجده، يميل الى فلسفة ابن سينا وينقل عنه كثيرا ولعل ذلك لأن ابن سينا قد ترك لنا مؤلفات عدة فى الفلسفة يمكن الرجوع اليها ولأنه كان أكثر ابتكارا وأوضح لفظا ومعنى من الفارابى :—

والذى يظهر أن جل كتاب «مقاصد الفلاسفة» إن لم يكن كله مأخوذ عن كتاب (النجاة) الذى اختصر فيه ابن سينا كتابه الأكبر المسمى (الشفاء) يدلك على ذلك تشابه الكتابين فى الموضوع والترتيب وطرق التعبير. فالخلاصة أن الغزالى يعنى بالفلاسفة فى الغالب الفارابى وابن سينا وعلى الأخص الثانى منهما

٦ ثم إن الغزالى بعد أن يحيط بالعلوم الفلسفية ويعرف مذاهب الطوائف المختلفة التى كانت معاصرة له، يأخذ على عاتقه القيام بعمل آخر أشق وأشد حاجة الى عقلية جبارة، وبحث عميق ذلك هو التصدى لهؤلاء كلهم، والتمييز بين حقهم وباطلهم، ومعرفة الغث من السمين من أفكارهم وبيان تضارب آرائهم وتناقض معتقداتهم. ثم وضع فلسفة يقبلها العقل ولا تعارض الشرع وهذا العمل يشمل :—

أولا : بيان الحقائق العلمية الفلسفية التى لا تعارض الشرع فى شىء

ثانياً : بيان أن العقل البشرى والفكر الانسانى وحده ليس كافيا للوصول الى معرفة الحقائق الالهية، بل لابد من حجة أقوى من حجة العقل فى ذلك، وهذه هى الحجة الشرعية التى تصل الينا من الله تعالى على لسان أنبيائه وأوليائه

ثالثاً : الكلام على عقائد الفلاسفة الفاسدة واقامة الأدلة القاطعة على بطلانها

رابعاً : وضع نظام فلسفى نظرى عملى مادى روحى دنيوى أخروى يكون أساسه

(١) المنقذ ص ١٢

الاحكام الدينية . ولا يكون مخالفا لقواعد المنطق السليم ، والبحث فى الامور الثلاثة الأولى لا يصح أن يسمى فلسفة الغزالى إلا من باب التسامح . أما فى الامر الرابع فتتجلى عقلية الغزالى بأجلى مظاهرها وتظهر للعالم عبقريته وآثار روحه الفياض ، ومقدرته على الابتكار ، واشمئزازه من التقليد. وهنا يحاول الغزالى ربط العلم بالعمل ، ويبين علاقة المادة بالروح ، ويظهر التوافق بين العقل والدين. ذلك التوافق الذى كان دائماً يرمى اليه ويجعله نصب عينيه

ويرى كثير من فلاسفة الغرب انه قد نجح الى أقصى حد ممكن فى هذه المحاولة ، وأنه قد وصل فى تعاليمه الى منزلة تكاد تقرب من منزلة الاعجاز . وإنا على كل حال نرى أن الاغراض الاربعة السابقة هى أغراض الغزالى من الاشتغال بالفلسفة . وموعدنا العدد الآتى إن شاء الله للكلام على كل منها ؟

حامد عبد القادر

تطور الفلسفة الى ماقبل عهد سقراط

للأستاذ نجيب محفوظ

كان هم الانسان فى عهده الاول مقصوراً على الاشياء المحيطة به ، والتى يرجو من ورائها فائدة ما لحياته ، وكانت مهارته تتجلى فى التقليد والمحاكاة ، والرقص والصياح ، ولكن مرت به أجيال طويلة تعلم فى أثنائها لغة يتخاطب بها ، ولما كانت اللغة أداة التفكير فقد ابتدأ يفكر تفكيراً هو أقرب للتأملات والأوهام فسر به حياته ومماته ، ومخاوفه الكثيرة التى يراها فى الوحوش الكاسرة ، ويسمعها فى الرعود والصواعق، والتى تزعجه فى أحلامه ،وفى هذه التفسيرات البدائية نجد بذرة الفلسفة الأولى التى نمت فى العصور المختلفة، وتدرجت تدرجاً مستمراً، يبين لنا الأدوار المختلفة التى مر بهـا التفكير الانسانى ، فتاريخ الفلسفة فى الواقع هو تاريخ العقل البشرى نفسه

ونحن نتكلم الآن عن الفلسفة الاغريقية التى سبقت عهد سقراط ، لأنها توضح نوعاً من التفكير يبتدئ ساذجاً بسيطاً ، ثم يعلو شيئاً فشيئاً إلى التفكير العلمى المبنى على القواعد والبراهين ، وليس مهما لدينا معرفة ما إذا كانت هذه الفلسفة قد جاءت عبقرية دون أن تتأثر بتيار أجنبي أم أنها تكملة لفلسفة أخرى ظهرت فى بلد آخر كفارس مثلا ، لان العقلية الانسانية فى تطورها تصعد درجات واحدة ، وعليه فالفلسفة التى ندرسها الآن يصح أن نعتبرها

الاحكام الدينية . ولا يكون مخالفا لقواعد المنطق السليم ، والبحث فى الامور الثلاثة الأولى لايصح أن يسمى فلسفة الغزالى إلا من باب التسامح . أما فى الامر الرابع فتتجلى عقلية الغزالى بأجلى مظاهرها وتظهر للعالم عبقريته وآثار روحه الفياض ، ومقدرته على الابتكار ، واشمئزازه من التقليد. وهنا يحاول الغزالى ربط العلم بالعمل ، ويبين علاقة المادة بالروح ، ويظهر التوافق بين العقل والدين. ذلك التوافق الذى كان دائماً يرمى اليه ويجعله نصب عينيه

ويرى كثير من فلاسفة الغرب انه قد نجح الى أقصى حد ممكن فى هذه المحاولة ، وأنه قد وصل فى تعاليمه الى منزلة تكاد تقرب من منزلة الاعجاز . وإنا على كل حال نرى أن الاغراض الاربعة السابقة هى أغراض الغزالى من الاشتغال بالفلسفة . وموعدنا العدد الآتى إن شاء الله للكلام على كل منها ؟

حامد عبد القادر

تطور الفلسفة الى ماقبل عهد سقراط

للأستاذ نجيب محفوظ

كان هم الانسان فى عهده الاول مقصوراً على الاشياء المحيطة به ، والتى يرجو من ورائها فائدة ما لحياته ، وكانت مهارته تتجلى فى التقليد والمحاكاة ، والرقص والصياح ، ولكن مرت به أجيال طويلة تعلم فى أثنائها لغة يتخاطب بها ، ولما كانت اللغة أداة التفكير فقد ابتدأ يفكر تفكيراً هو أقرب للتأملات والأوهام فسر به حياته ومماته ، ومخاوفه الكثيرة التى يراها فى الوحوش الكاسرة ، ويسمعها فى الرعود والصواعق، والتى تزعجه فى أحلامه ،وفى هذه التفسيرات البدائية نجد بذرة الفلسفة الأولى التى نمت فى العصور المختلفة، وتدرجت تدرجاً مستمراً، يبين لنا الأدوار المختلفة التى مر بها التفكير الانسانى ، فتاريخ الفلسفة فى الواقع هو تاريخ العقل البشرى نفسه

ونحن نتكلم الآن عن الفلسفة الاغريقية التى سبقت عهد سقراط ، لأنها توضح نوعاً من التفكير يبتدىء ساذجاً بسيطاً ، ثم يعلو شيئاً فشيئاً إلى التفكير العلمى المبنى على القواعد والبراهين ، وليس مهما لدينا معرفة ما إذا كانت هذه الفلسفة قد جاءت عبقرية دون أن تتأثر بتيار أجنبي أم أنها تكملة لفلسفة أخرى ظهرت فى بلد آخر كفارس مثلا ، لان العقلية الانسانية فى تطورها تصعد درجات واحدة ، وعليه فالفلسفة التى ندرسها الآن يصح أن نعتبرها

أنموذجا للتفكير فى عهده الاول ، وكيفية تدرجه خطوات نحو التفكير المنطقى الصحيح

وإن الأمر الذى شغل بال المفكرين الأول ، هو أصل الكون ، فنفهم من ذلك أن الطبيعة بمظاهرها المختلفة هى التى أثارت تفكيرهم من مكمنه ، وتصوروا فى بادئ الأمر أن السبب الاول للعالم شيء مادى محسوس ، وهذه هى نظرية الفلاسفة الايونيين ، وقد قال فيلسوفهم « تاليس » إن الماء أصل كل شيء « تخرج منه جميع الاشياء واليه تعود » وحاول أن يبنى نظريته على قواعد علمية ، وهذه المحاولة هى التى وضعته فى مكانته من تاريخ الفلسفة ، واختلف معه غيره من فلاسفة الايونيين ، ولكن اختلافهم اقتصر على نوع المادة التى فرضوها أصلا للكون ، واتفقوا معه فى انها مادة محسوسة ، ولهذا فاختلافهم صغير فى عين من يبحث عن تطور العقلية الانسانية . وينظر اليها كأنها كل عام .

إلا أننا نلاحظ أن مذهب الايونيين يحاول التخلص شيئاً ما من المادة المحسوسة ، فلقد فسر الفيلسوف (أنا كسمندر) أصل العالم بأنه « مادة » أيضاً إلا أنها خالدة غير محدودة ولا يمكن تعريفها — :

ونرى محاولة أخرى إلا أنها أجرأ من سابقها فى مذهب البيثاجوريين نسبة إلى فيلسوفهم الاكبر بيثاجوراس ، وقد قالوا إنه لا يمكن اتخاذه أصلا مادياً محسوساً للكون وانما يصح أن نصدق أن شيئاً أصل للعالم بعلاقاته المختلفة ، ومقاييسه ، فهذه النظرية الجديدة لا تحفل بالمادة ذاتها وانما بشكلها ، ولا تأبه بالماء والهواء وانما بالعلاقات والمقاييس . ولما كانت علاقات الاشياء كالامتداد والحجم والشكل والمسافات يعبر عنها بالاعداد ولما كان لا يمكن أن يوجد شيء فى الوجود عديم الشكل أو مستحيل القياس نتج أن كل شيء يدخل تحت العد واذاً فيصح اعتبار العدد أصلا عاماً لجميع الاشياء

ولكن هل هذا الاصل الجديد مادى أم معنوى؟ وليس عندنا جواب صريح . ومحتمل جداً أن يكونوا قد انقسموا فى فهمه فريقين :

هذه هى النظرية التى تنسب إلى بيثاجوراس وتسمى أحياناً « نظرية العدد » ثم ظهر بعدهم على مسرح الفلسفة الاليون (نسبة الى المدينة الاغريقية الكبرى إليا) وقد انتهت اليهم فلسفة البيثاجوريين التى وصفنا . ونلاحظ أنهم كانوا يعترفون بالصلة التى بين أصل الكون فى نظرهم ، والزمان والمكان ، لأنه لا يمكن قياس شيء ليس له علاقة بالمكان والزمان .

أنموذجا للتفكير فى عهده الاول ، وكيفية تدرجه خطوات نحو التفكير المنطقى الصحيح

وإن الأمر الذى شغل بال المفكرين الأول ، هو أصل الكون ، فنفهم من ذلك أن الطبيعة بمظاهرها المختلفة هى التى أثارت تفكيرهم من مكمنه ، وتصوروا فى بادئ الأمر أن السبب الاول للعالم شيء مادي محسوس ، وهذه هى نظرية الفلاسفة الايونيين ، وقد قال فيلسوفهم « تاليس » إن الماء أصل كل شيء « تخرج منه جميع الاشياء واليه تعود » وحاول أن يبنى نظريته على قواعد علمية ، وهذه المحاولة هى التى وضعته فى مكانته من تاريخ الفلسفة ، واختلف معه غيره من فلاسفة الايونيين ، ولكن اختلافهم اقتصر على نوع المادة التى فرضوها أصلا للكون ، واتفقوا معه فى انها مادة محسوسة ، ولهذا فاختلافهم صغير فى عين من يبحث عن تطور العقلية الانسانية . وينظر اليها كأنها كل عام .

إلا أننا نلاحظ أن مذهب الايونيين يحاول التخلص شيئاً ما من المادة المحسوسة ، فلقد فسر الفيلسوف (أنا كسمندر) أصل العالم بأنه « مادة » أيضاً إلا أنها خالدة غير محدودة ولا يمكن تعريفها — :

ونرى محاولة أخرى إلا أنها أجرأ من سابقها فى مذهب البيثاجوريين نسبة إلى فيلسوفهم الاكبر بيثاجوراس ، وقد قالوا إنه لا يمكن اتخاذه أصلا مادياً محسوساً للكون وانما يصح أن نصدق أن شيئاً أصل للعالم بعلاقاته المختلفة ، ومقاييسه ، فهذه النظرية الجديدة لا تحفل بالمادة ذاتها وانما بشكلها ، ولا تأبه بالماء والهواء وانما بالعلاقات والمقاييس . ولما كانت علاقات الاشياء كالامتداد والحجم والشكل والمسافات يعبر عنها بالاعداد ولما كان لا يمكن أن يوجد شيء فى الوجود عديم الشكل أو مستحيل القياس نتج أن كل شيء يدخل تحت العد واذاً فيصح اعتبار العدد أصلا عاماً لجميع الاشياء

ولكن هل هذا الاصل الجديد مادى أم معنوى؟ وليس عندنا جواب صريح. ومحتمل جداً أن يكونوا قد انقسموا فى فهمه فريقين :

هذه هى النظرية التى تنسب إلى بيثاجوراس وتسمى أحياناً « نظرية العدد » ثم ظهر بعدهم على مسرح الفلسفة الاليون (نسبة الى المدينة الاغريقية الكبرى إليا) وقد انتهت اليهم فلسفة البيثاجوريين التى وصفنا . ونلاحظ أنهم كانوا يعترفون بالصلة التى بين أصل الكون فى نظرهم ، والزمان والمكان ، لأنه لا يمكن قياس شيء ليس له علاقة بالمكان والزمان .

أما هؤلاء الاليون فقد أنكروا وجود أية صلة بين أصل الكون الذى ابتكروه، وبين الزمان والمكان . ذلك لانهم جردوه عن المادة تجريداً كلياً ، وقالوا إنه لا يمكن أن يدرك بالحواس وانما هو يفهم بالعقل وأطلقوا عليه « الكائن المجرد »

ومن أهم فلاسفة هذه المدرسة كسينوفانيس وبارمينيدس ، وزينون ، وهم يتفقون فى المبدأ العام مع وجود اختلافات كثيرة فى فلسفتهم ، ولسنا هنا حيال التكلم عنهم

ننتقل الآن من الفلسفة التحليلية إلى الفلسفة التركيبية ، ولقد رأينا كيف جرد الاليون كائنهم المجرد عن المادة والزمان والمكان ، ثم إنهم أنكروا الطبيعة المادية وقالوا عن الكون المحسوس إنه مظهر كاذب . الا انهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتكلم عن هذا الكون الظاهر وهنا نشأت مسألة فلسفية معقدة لم نجد لها حلا . وهى أنه لم تكن توجد فى تلك الفلسفة أية علاقة بين «الكائن المجرد» والكائن المحسوس ، فلما جاء هيرقليطس قرر أن أصل الكون انما هو من اتحاد الكائن المجرد بالكائن المحسوس الذى نراه ونعيش فى جزء منه ، ثم قال انه من طبيعة الاشياء أن تكون فى تغـير مستمر لا يتوقف وقد نشأت مسألة فلسفية جديدة بعد هيرقليطس وهى ما سبب هذا الاتحاد؟؟ وكيف تكون الكائن المحسوس؟ وقد قرر هيرقليطس تفسيراته كأنها مأخوذة من التجاريب . أما امبيرولكيس فقد قال ان المادة أصل الكائن وأن القوة أصل الحركة

وأدرك اليأس الفلاسفة من ايجاد أسباب يعللون بها وجود الكائن المادى، وأخيراً اهتدى انكساجوراس الى أن «العقل» هو الذى كون العالم وأوجد له نظامه ، غير انه لم يكن سوى طبيعى كأسلافه. ولهذا لم يفطن الى أن العقل شىء فوق الطبيعة المادية . ولكن مهما يكن من الامر فقد وجد من يميز بين العقل والطبيعة ، ومن يعترف بأن العقل أرقى منها ، والفضل فى ذلك يعود إلى السوفسطائيين

والسوفسطائيون مدرسة قامت على الشك فى الحواس، وما تأتيه لنا من المعلومات، وكانوا يحملون على الحقائق التى وصلت الينا عن طريق الحواس أو تأثرنا فى معرفتها بالتقليد. وعلى العموم فقد أتوا بمبدأ البحث الموضوعى ، هذه عجالة موجزة عن تطور الفلسفة التى سبقت عهد سقراط والذى يجب أن يلاحظه القارئ ، هو تخلص العقل البشرى شيئاً فشيئاً من المادة فى تفسيره لأصل الكون المـادى الظاهر ، وسموه الى التفسيرات المعنوية التى لا تدرك الا بالعقل ؟

نجيب محفوظ

أما هؤلاء الاليون فقد أنكروا وجود أية صلة بين أصل الكون الذى ابتكروه، وبين الزمان والمكان . ذلك لانهم جردوه عن المادة تجريداً كلياً ، وقالوا إنه لا يمكن أن يدرك بالحواس وانما هو يفهم بالعقل وأطلقوا عليه « الكائن المجرد »

ومن أهم فلاسفة هذه المدرسة كسينوفانيس وبارمينيدس ، وزينون ، وهم يتفقون فى المبدأ العام مع وجود اختلافات كثيرة فى فلسفتهم ، ولسنا هنا حيال التكلم عنهم

ننتقل الآن من الفلسفة التحليلية إلى الفلسفة التركيبية ، ولقد رأينا كيف جرد الاليون كائنهم المجرد عن المادة والزمان والمكان ، ثم إنهم أنكروا الطبيعة المادية وقالوا عن الكون المحسوس إنه مظهر كاذب . الا انهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتكلم عن هذا الكون الظاهر وهنا نشأت مسألة فلسفية معقدة لم تجد لها حلا . وهى أنه لم تكن توجد فى تلك الفلسفة أية علاقة بين «الكائن المجرد» والكائن المحسوس ، فلما جاء هيرقليطس قرر أن أصل الكون انما هو من اتحاد الكائن المجرد بالكائن المحسوس الذى نراه ونعيش فى جزء منه ، ثم قال انه من طبيعة الاشياء أن تكون فى تغيير مستمر لا يتوقف وقد نشأت مسألة فلسفية جديدة بعد هيرقليطس وهى ما سبب هذا الاتحاد؟؟ وكيف تكون الكائن المحسوس؟ وقد قرر هيرقليطس تفسيراته كأنها مأخوذة من التجاريب . أما امبيرولكيس فقد قال ان المادة أصل الكائن وأن القوة أصل الحركة

وأدرك اليأس الفلاسفة من ايجاد أسباب يعللون بها وجود الكائن المادى، وأخيراً اهتدى انكساجوراس الى أن «العقل» هو الذى كون العالم وأوجد له نظامه ، غير انه لم يكن سوى طبيعى كأسلافه. ولهذا لم يفطن الى أن العقل شيء فوق الطبيعة المادية . ولكن مهما يكن من الامر فقد وجد من يميز بين العقل والطبيعة ، ومن يعترف بأن العقل أرقى منها ، والفضل فى ذلك يعود إلى السوفسطائيين

والسوفسطائيون مدرسة قامت على الشك فى الحواس، وما تأتيه لنا من المعلومات، وكانوا يحملون على الحقائق التى وصلت الينا عن طريق الحواس أو تأثرنا فى معرفتها بالتقليد. وعلى العموم فقد أتوا بمبدأ البحث الموضوعى ، هذه عجالة موجزة عن تطور الفلسفة التى سبقت عهد سقراط والذى نحب أن يلاحظه القارئ ، هو تخلص العقل البشرى شيئاً فشيئاً من المادة فى تفسيره لأصل الكون المادى الظاهر ، وسموه الى التفسيرات المعنوية التى لا تدرك الا بالعقل ؟

نجيب محفوظ

في الأدب العربي

بديع الزمان الهمذاني

بقلم أديب معروف

اسمه ولقبه — هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد الهمذاني الملقب ببديع الزمان

مولده وأصله — ولد بهمذان حوالى سنة ٣٥٨ هـ — ويظن بعض الادباء أنه من أصل فارسي ولكن عبارة وردت فى رسالة من رسائله كتب بها الى أبي العباس وزير السلطان محمود الغزنوى تدلنا على انه كان من أصل عربي وهذه العبارة « هى انى عبد الشيخ واسمى احمد وهمذان المولد وتغلب المورد ومضر المحتد »

نشأته وتربيته الاهلية : ومهما يكن من أمر أصله فانه تربى تربية فارسية فى همذان وظهرت عليه علائم النجابة ، منذ حداثة سنه ، وتخرج فى العلم والادب على أستاذ همذان ، ووحيد الزمان ، احمد بن فارس صاحب كتاب المجمل فى اللغة المتوفى سنة ٣٩٠ هـ . وقد حذق أبو الفضل العربيــة والفارسية معا . وما زال نجمه فى الصعود حتى طار صيته فى الخافقين ، وسار ذكره فى المشرقين ، وضاقت همذان بعلمه وأدبه ، وثقل عليه ظل أهلها ، ففارقها غير آسف على فراقها ، ولا متشوق لرؤيتها ، بل انه تركها ناقماً عليها وعلى أهلها ، اذ يعزى اليه أنه قال :

همذان لى بلد أقول بفضله ... لكنه من أقبح البلدان
صبيانه فى القبح مثل شيوخه ... وشيوخه فى العقل كالصبيان

وأنه قال : لا تلمنى على ركاكة عقلى ... اذا تيقنت اننى همذانى

رحلاته : ولأمر ما غادر مسقط رأسه ، وموطن أهله ، على ألا يرجع اليــه ، وأخذ يتجول من مكان الى آخر ، ومن حضرة الى أخرى ، ينهل من مناهل العلم ، ويغترف من بحار الأدب ويلقى الأمراء ويمدحهم ويحظى بعطاياهم

ويقول لنا المؤرخون انه ترك همذان وعمره اثنتا عشرة سنة أى حوالى سنة ٣٧٠ هـ (١) قصد حضرة الصاحب بن عباد باصبهان ونال الحظوة لديه، واستقى من فيض أدبه وشرب من بحر فضله (٢) ثم عرج شمالا الى جرجان وبها الاسماعيلية من طوائف الشيعة فاختلط بها واتصل بأبى سعيد محمد بن منصور (٣) ثم سار شرقا الى نيسابور وبها وصل القمة من بعد الصيت وعلو الذكر، اذ هنالك أملى أربعمائة من مقاماته، وغالب الخوارزمى فغلبه (٤) ثم أبعد فى السفر شرقا حتى اتصل بحضرة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى ومدحه (٥) وأخيرا دفعته يد المقادير إلى هراة فألقى بها عصا التسيار. بعد أن در الله عليه أخلاف الرزق، وأصبح وحيد الدهر، ونادرة العصر، وقد صاهر أبا على الحسين بن محمد الخشنامى وكان أحد فضلاء هراة ونبلائها، فانتظمت أحواله، واقتنى بمعونة صهره ضياعا فاخرة وعاش عيشة راضية

وحين أربى على الأربعين توفى بهراة جمادى الثانى ٣٩٨ فقيل إنه مات مسموما، وقيل عرض له داء السكتة فعجل دفنه، وإنه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل فنبش عليه فوجد أنه مات وهو قابض على لحيته. ولكن

لم يمت من زال من عالم الحس وتأبى آثاره أن تزولا

فقد ترك لنا مقاماته، ورسائله واشعاره، وكلها ناطقة بفضله، مبرهنة على جليل قدره.

هذا هو تاريخ بديع الزمان قصصناه عليك مختصراً. والآن نود أن نورده عليك مع شيء من التفصيل. ولكن قبل أن نفعل ذلك نرى من الواجب أن نصف لك الحالة السياسية والاجتماعية فى العصر الذى عاش فيه ذلك النابغة الكبير، ثم نبين لك مقدار تأثره بالبيئة التى كان يسكنها، لكى تكون على علم تام بالأسباب التى دعته الى أن يسلك ذلك المسلك الذى ذكرناه لك فنقول :

الحالة السياسية

لعلك تذكر حالة البلاد السياسية فى عصر مهيار. وما إخالك الا ملما بما كانت عليه الامبراطورية الاسلامية من انقسام الى دول، الاضطراب فيها مستمر، والشقاق بين أمرائها دائم. وانك لعلى علم بما كان بين بعض هؤلاء الامراء، وبعض من تنافس فى احراز القوتين المعنوية والادبية فلسنا بحاجة الى اعادة ذلك هنا — وليست بنا حاجة الى أن نلفت نظرك الى أن بديع الزمان

يكاد يكون معاصراً لمهيار ، وان كانت ولادة الاول متأخرة عن ولادة الثانى ببضع سنوات غير أن هناك أمرين لا بد من معرفتهما تمام المعرفة (أولهما) ما ذكرناه لك آنفاً من أن بديع الزمان مثل كثيرين غيره من مشاهير كتاب العصر ، ظهروا فى عالم الادب ، ثم غابت شمسهم من سمائه قبل أن يذيع صيت مهيار ، وقبل أن يصبح فى عداد المشاهير من الشعراء (وثانيهما) أن بديع الزمان كان اديباً متجولا فى الاقاليم الشرقية من بلاد الجبل الى أقاصى خراسان وبلاد السند. أما مهيار فلاقامته فى بغداد كانت شهرته مقصورة على بلاد العراق والجزيرة والجهات المجاورة لها

ومع هذا كله كان الكاتب معاصراً للشاعر فما قيل عن الحالة السياسية والاجتماعية فى عصر مهيار ينطبق تمام الانطباق على عصر بديع الزمان

غير أنا نزيدك هنا من وصف الحالة السياسية ، بما له علاقة متينة بتاريخ بديع الزمان ، كما عنينا عناية خاصة بتاريخ الدولة البويهية فى كلام جعلناه مقدمة للبحث فى تاريخ مهيار (١) ، ولا نزيدك من وصف الحالة السياسية هنا الا أمرين :

نريد أولا أن نقول إنه من سنة ٣٨٤ أخذت الدولة السامانية صاحبة خراسان فى السقوط وذلك : — ١ — بعد قيام الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند (١٥٣ — ٥٨٢) واستيلاء بطلها السلطان محمود بن سبكتكين على أملاك السامانيين الواقعة إلى الجنوب من نهرى سيحون وجيحون ، — ٢ — بعد قيام الدولة الايلخانية بالتركستان واستيلائها على بخارى عاصمة الدولة السامانية سنة ٣٨٠

وما زالت تلك الدولة فى تدهور حتى انقرضت سنة ٣٨٩ على الرغم من أن آخر أمرائها ابراهيم استمر يدافع عن العرش حتى سنة ٣٩٥

والسلطان محمود هذا كان من معاصرى بديع الزمان وهو من أبطال التاريخ الاسلامى الذين يشار اليهم بالبنان ، فاليه يرجع الفضل فى نشر الاسلام بالهند ، ولم يقض نحبه (٤٢١) حتى أسس دولة اسلامية مهيبة الجانب ، خضعت لها السند ومعظم أملاك الدولة السامانية وجزء كبير من أملاك الدولة البويهية يمتد إلى أصبهان

وقد كان آل بويه لا يزالون القابضين على زمام الامور ببغداد المديرين لدفة الخلافة المتصرفين فى شؤون الخليفة كيف يشاؤون

(١) راجع مجلة المعرفة الجزء الاول والثانى

ونود ثانياً أن نذكر من الدول التى كانت قائمة فى هذا العصر الذى نحن بصدده الدولة الزيارية : ٣١٦ — ٤٣٢) المنسوبة الى زيار مؤسسها وقد علا شأن هذه الدولة واتسعت رقعتها حتى وصلت الى حلوان على حدود العراق

ومن أشهر أمرائها شمس المعالى قابوس بن وشكير الأديب الكاتب الشاعر والسياسى الماهر حاكم جرجان وما حولها من سنة ٣٦٦ الى سنة ٤٠٣ فهو بذلك من معاصرى بديع الزمان

ومن هذا ومما عرفت من قبل يتبين لك أن الاحوال السياسية كانت مضطربة، وان نيران حروب كانت مستعرة، بين بعض الدول وبعض ، مما أدى الى أن تخومها كانت دائماً فى تغير ولم يكن السلم ليحل بدولة الا ليذهب ويحل محله الشغب

وليس معنى هذا أن الثقافة كانت فى تأخر واضطراب مثل الحالة السياسية، أوأن سوق الأدب كانت كاسدة فى هذا العصر ، عصر الفتن والقلاقل . بل بالعكس إن هذا العصر ليعتبر العصر الذهبى، الذى ازدهت فيه الحضارة الاسلامية ووصلت فيه الثقافة فى الشرق الى حد لم يعرفه من قبل . ذلك لما تعلم من التنافس بين العناصر المختلفة من العرب والفرس والترك من جهة ، وبين ملوك الدول وأمرائها من جهة أخرى ، اذ كان هؤلاء الأمراء يشجعون العلماء والأدباء على الاتجار بأدبهم ، ويغرونهم بالأموال والمناصب على التقرب اليهم والالتفاف حولهم ، كما تراه مفصلا فى غير هذا المكان

الحالة الاجتماعية

وما قلناه عن الحالة السياسية نقوله عن الحالة الاجتماعية . إذ أن الاضطراب فى السياسة يؤدى فى الغالب الى اضطراب فى حياة المجتمع العامة ، لاسيما فى تلك البلاد التى تعددت فيها العناصر، وتشتتت فيها الاهواء، فمن عربى إلى فارسى إلى تركى، ومن سنى إلى شيعى إلى مجوسى ومن قوم يتكلمون بالعربية، إلى آخرين يتخذون الفارسية أو التركية أداة للتفاهم والادب فلا غرو اذا كان النزاع بين الشعوبية وأنصار العربية، لا يزال قائماً. ولا عجب اذا ظل الخلاف بين أهل السنة والشيعة سائداً. ولا بدع إذا تأثرت السياسة بالدين إلى حد كبير، وأصبح اكتراث النفوس بالأحكام الدينية ضعيفاً لضعف شأن الخليفة ، وانتشار المجون والخلاعة فى بغـداد عاصمة الخلافة ومصدر السلطة الدينية . ولعل من الاسباب التى أدت الى انتصار الغزنويين والايلخانيين على السامانيين والبويهيين أن السواد الاعظم من سكان أطراف الامبراطورية

من الشرق والشمال الشرقي ، كانوا يميلون إلى مذهب أهل السنة ، إذ أن معظم هؤلاء من القبائل التركية ، التى عرفت منذ اعتناقها الاسلام بتعصبها لمذهب أهل السنة —:

ولا نكاد نشك أن الخليفة العباسى القادر بالله (٣٨١ — ٤٢٢) كان يعقد على الدولة الغزنوية آمالا كبارا ، وكان يود لو يكون سقوط السامانيين على يدها ، ولأمر ما لقب السلطان محمودا يمين الدولة وأمين الملة —:

وخلاصة هذا كله أن الثقافة فى هذا العصر بلغت ما لم تبلغه من قبل . وكان لها مواطن متعددة أهمها بغداد وأصبهان وهمذان ، وجرجان والرى ، ونيسابور وهراة وغزنه وبخارى وكانت هذه المواطن على اتصال دائم من الوجهة الادبية. وكان لسخاء أمرائها واحترامهم العلماء والأدباء آثار فعالة ، فى نهوض العلم والأدب نهضة لا نظير لها من قبل

تأثر بديع الزمان

بالبيئة السياسية والاجتماعية

كانت اذاً أحوال الدول الاسلامية كما وصفنا، وكان بين بعض الأمراء وبعض تناقش مستمر فى تشجيع الأدباء والعلماء، واغرائهم على الانشاء والتأليف بأسمائهم، فمعقول جداً أن يؤدى ذلك الى تنافس عنيف بين رجال العلم والأدب. ومعقول جداً أن يتخذوا هذا التشجيع وسيلة للتكسب بعلمهم وأدبهم. فلا عجب إذا كان بديع الزمان وهو رأس المبدعين فى الكتابة الفنية ، ممن زجوا بأنفسهم فى غمار هذه الحرب الأدبية ، وألقوا بأنفسهم فى ميدان هذا التنافس المثمر. فتراه على صغر سنه يترك همذان مسقط رأسه ويضرب فى الأرض على راحلته، وينتجع مراكز الأدب ، ويعرض ما أنتجته قريحته الوقادة ، على آذان ملوك عصره وأمراء زمانه ووزرائه . ويجعل من ذلك سبباً لكسب العيش وسد العوز، وإن قامه لينطق بالسؤال فى كثير من المواطن، من ذلك قوله فى رسالة أرسلها الى الشيخ العميد (١٦١)

إنا : أطال الله بقاء الشيخ العميد، معاحرار نيسابور فى صنعة لا فيها اعان، ولا عنها اصان وشيمة ليست بى تناط، ولا عنى تماط، وحرفة لا فيها إدال ، ولا عنى تزال، وهى الكدية التى على تبعتها، وليست لى منفعتها، فهل للشيخ أن يلطف بصنيعته لطفاً يحط عنه درن العار وسمة التكسب والافتقار، ليخف على القلوب ظله، ويرتفع عن الاحرار كله، ولا يثقل على الاجفان شخصه

اتصاله بالصاحب بن عباد

وبديع الزمان بعد أن يترك همذان يرحل الى اصفهان، ويدخل فى زمرة الوافدين على الصاحب ويتقدم اليه، وينثر درر أدبه بين يديه فيعجب بهأيما إعجاب ويعترف بفضله وعبقريته ،ويقدمه على غيره على حداثة سنه —:

ويروى الرواة فيما يروون، أن الصاحب كان يولع بالشعر الفارسى كما كان يولع بالشعر العربى وكان يهش لشعراء الفرس كما كان يبش لشعراء العرب —:

ومن شعراء الفرس الذين مدحوه منصور الرازى المنطقى، فاتفق أن هذا الشاعر التى بين يديه قصيدة بالفارسية راقته، وكان من أبياتها ثلاثة وقعت لديه أحسن موقع هى :

يك موى بدوز ديدم ازدوز لفت   جون زلف زدى أى صنم بشانه
جونانش يسنختى همى كشيردم   جون مور له كندم كشد إبخانه
باموى شدم بخانه يدر كفت   منصور كدام ست از دو كانه

وكان من بين الحاضرين بديع الزمان فأوعز اليه الصاحب أن ينقلها الى العربية شعراً مع التزام بحر السريع ، وقافية الطاء ، فصدع بالأمر، ونطق على الفور.

سرقت من طرته شعرة   حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجت بها مثقلا   تدلج النمل بحب الخياط
قال أبى من ولدى منكما   كلاكما يدخل سم الخياط

وقد كان نقل الأشعار من الفارسية الى العربية وبالعكس من الأمور التى حاولها أدباء العصر ونبغ فيها بديع الزمان

رحلته الى جرجان

والظاهر ان اقامة بديع الزمان بأصفهان لم تكن طويلة ، فانه سرعان ماغادرها ونزح الى جرجان،ومهما كان من سبب لسفره هذا، فانا نجزم بأنه كان لوجوده بها نفع مادى، اذ أنه اتصل بشمس المعالى قابوس بن وشكمير ، امير الدولة الزيارية، ذلك الأديب الخطير الذى شهد بفضله القاصى والدانى ونال من فيضه كل من وصل الى ورده، وقد كان بديع الزمان أحد المغترفين من بحره، يدلك على ذلك رسالة بعث بها اليه وهى (١٣٠)

لم تزل الآمال تعدنى هذا اليوم، والايام التى تمطلنى بألسنة صروفها ،على اختلاف صنوفها

بين حلو استرفنى ، ومر استخفنى ، وشر صار الى، وخير ماصرت اليه، وأنافى خلال هذه الأحوال أتتبع الآفاق، فأكون طورا مغربا للغرب الأقصى،وطورا مشرقا للمشرق، ولا مطمح الا حضرته الرفيعة ، وسدته المريعة، ولا وسيلة الا المنزل الشاسع، والأمل الواسع وقد صرت أطال الله بقاء الأمير ، بين أنياب النوائب، وتجشمت هول الموارد ، وركبت أكناف المكاره ، ورضعت اخلاف العوائق، ومسحت أطراف المراحل، حتى حضرت الحضرة البهية أوكدت،وبلغت الأمنية أوزدت، وللأمير فى الاصغاء الى المجد، والبسط من عنان الفضل، بتمكين خادمه من المجلس ، يتلقاه بيده ، والبساط ينفشه بفمه، الرأى العالى ان شاء الله تعالى

وقد كان بجرجان فى ذلك الوقت، عدد كبير من الاسماعيلية

والاسماعيليون من الشيعة السبعية الذين لا يعترفون الا بسبعة أئمة من العلويين، وهم على والحسن والحسين وعلى زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل بن جعفر. والى اسماعيل هذا ينسب الاسماعيليون.

ولم يظهر شأن هذه الطائفة فى آسيا الا فى عصور متأخرة، ولكن كان لهم بها اتباع كثيرون فى هذا العصر، فى جهات جرجان. ويقول الثعالبي إن بديع الزمان كان يختلط بهؤلاء ويحضر مجتمعاتهم، ويقول أيضا إنه اتصل بأبى سعيد محمد بن منصور، أحد رؤسائهم ومدحه

ولكن ليس معنى هذا أن بديع الزمان كان ينتمى الى هذه الطائفة فانا لانجد أثراً لتشيعه فى رسائله أو أشعاره

تعصبه للعرب على الفرس

بل بالعكس نجد فى رسائل بديع الزمان ما يبرهن على أنه كان ممن ينتصرون للعرب ولعل ذلك لانه كان من أصل عربى كما قدمنا، وليس أدل على ذلك مما قاله فى رسالة بعث بها إلى الرئيس أبى عامر ، فى معنى السدق حيث يقول (٢٧٩)

نحن أطال الله بقاء الشيخ، إذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم، وعلى سائر الأمم، أردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ، ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس،وأنعم منها مطاعم، وأكثر ذخائر، وأبسط ممالك، وأعمر مساكن،ولكننا نقول العرب أوفى وأوفر،وأوقى وأوقر ، وأنكى وأنكر ، وأعلى وأعلم ، وأحلى وأحلم ، وأقوى وأقوم ، ولا ينكر ذلك

إلا وفح ونح ، ولا يجحده إلا نفل نفر — ان عيد الوقود لعيد افك ، وان شعار النار لشعار شرك وما أنزل الله بالسدق سلطاناً ولا شرف نيروزاً ولا مهرجاناً وإنما صب الله سيوف العرب ، على فروق العجم ، لما كره من أديانها ، وسخط من نيرانها — الله والنبي والسعيد العربي ، والتكبير الجهير ، وتلك الجماهير « والملائكة بعد ذلك ظهير » والموسم الطاهر من لغو الحديث ذلك لا ما شرع الشيطان لأوليائه نار لديهم تشب ولعنته عليهم تصب، وخمرة متاعها قليل ، وفى الآخرة خمارها طويل، هذا هوالعيد «وذلك هوالضلال البعيد » انهم ليشبون ناراً هى موعدهم والنار فى الدنيا عيدهم، والله إلى النار يعيدهم

تمسكه بمذهب أهل السنة

ولم يكن بديع الزمان متعصباً للعرب فقط ، ولكنه كان متعصبا لمذهب أهل السنة فكثيرا ما تراه ينعى على الفرس تشيعهم لعلى وآله ، ويأخذ عليهم سبهم لأبى بكر وعمر وعثمان وهاك دليلا على ذلك ما كتبه فى رسالة طويلة بعث بها الى الرئيس أبى عامر أيضا اذ يقول (٤٢٤)

ورجع صاحبى آنفا من هراة، فذكر أنه سمع فى السوق صبيا ينشد أن محمدا وعليا لعنا تيماً(١) وعدياً(٢) فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدى لكفتنى شغل الشكاية، وولى النعمة شغل الكفاية ، ويل أم هراه، أنصب الشيطان بها هذه الحبالة، وصرنا نشكو هذه الحالة ، والله ما دخلت هـذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذل ، ونسخت منها الملة ولا رضى بها أهل بلدة، الا جعل الله الذل لباسهم، وألقى بينهم بأسهم، هذه نيسابور منذفشت فيها هذه المقالة، فى خراب واضطراب — وهذه قهستان منذفشت فيها هذه المقالة، جعلت مأكلة الغصص ونجعة الاكدار ولحمة السيف ومزار السنان — وهذه الكوفة مما اختطه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وما ظهر الرقص بها دفعة، ولا وقع الالحاد فيها وقعة، وانما كان أوله النياحة على الحسين بن على رضى الله عنهما وذلك ما لم ينكره الانام ثم تناولوا معاوية، فأنكر قوم وتساهل آخرون فتدحرجوا الى عثمان، فنفرت الطباع ونبت الاسماع، وكان القراع والوقاع، حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الامر

(١) تيم : قوم سيدنا أبى بكر (٢) عدى : قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب

فارتقى الشتم إلى يفاع[1] وتناول الشيخين رضى الله عنهما — لا جرم أن الله تعالى سلط عليهم السيف القاطع، والذل الشامل، والسلطان الظالم، والخراب الموحش.

بعد هذا لا يبقى مساغ للريب فى أن بديع الزمان كان معارضاً للشعوبيين متبعاً أهل السنة، على أن هناك أموراً أخرى تؤيد ذلك، منها شدة ارتباطه بأبى الطيب الصعلوكى الفقيه الشافعى النيسابورى المتوفى سنة ٣٨٧ و أنه لم يطل الاقامة فى الأقاليم الغربية الشيعية النزعة، وفضل الاقامة فى ربوع الدولة الغزنوية السنية. ولم يتصل بأمراء الدولة البويهية، وكان شديد الصلة بالدولة الغزنوية، ولا سيما بوزيرها الاول، الشيخ أبى العباس الفضل بن أحمد السابق الذكر، وكثيراً ما كان يمدح السلطان محمود الغزنوى ويهنئه بفتح المدن، وانتزاع الملك من الدولة السامانية الشيعية المذهب. والسلطان محمود كان متشدداً فى دينه متعصباً لمذهب أهل السنة، وقد بلغ من تعصبه لمذهبه أنه كان لا يجمع حوله الا السنيين، وأنه لم يكافئ الفردوس صاحب الشاهانامه على هذا الكتاب الضخم الا قليلا. ذلك لأنه قال أبياتاً يشتم منها رائحة التشيع لآل البيت. فشدة اتصال بديع الزمان بأمثال السلطان محمود هذا دليل على أنه كان سنياً.

رحلته الى نيسابور

وبديع الزمان يترك جرجان ويجد فى السير حتى يصل الى نيسابور، سنة ٣٨٢ وقد امتلأت جعبته، وملأت الأرض عبقريته، وبنيسابور يحط رحله الى حين، وفيها يصل صيته أقصى حدوده، وتتجلى مقدرته بأجلى مظاهرها. إذ هنا أملى على رواد مجلسه أربعمائة من مقاماته وبهر الناس بحدة ذكائه ووفرة علمه، وغزارة أدبه

والمقامة كما تعرف قصة أدبيـة فكهة، يرويها الراوى فتستغرق مقامة (جلسه) ولا بد أن يتوخى الكاتب فى كتابتها طريقة فنية، فيودعها المحسنات اللفظية، والمعنوية، ويعنى فيها بالمادة اللغوية، وأظهر مظاهرها السجع القصير الفواصل، وتضمين الحكم والامثال والاقتباس من القرآن والشعر. والاشارة الى الحوادث التاريخية، أى أن المقامة هى أصدق مثال لما وصل اليه النثر الفنى فى العصر العباسى الثانى

(١) اليفاع المكان المرتفع

والمقامة راو يرويها ، وبطل يقص قصص الحادثة بنفسه فى الغالب . وقد اختار بديع الزمان عيسى بن هشام راوية لمقاماته ، ونحلها أبا الفتح الاسكندرى ولم يصلنا من مقامات بديع الزمان إلا ثلاثة وخمسون مقامة ، وهى مطبوعة مشروحة . وهى مع رشاقة أسلوبها قصيرة ، وقائعها خيالية قلما تتحقق ؛ وفى كتاب النصوص الأدبية مقامة من هذه المقامات فارجع اليها .

وقد ذكرنا لك أن بديع الزمان أخذ هذا الفن من فنون الأدب عن أستاذه أبى الحسن أحمد بن فارس الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٠ والبديع أول من أجاد هذا الفن ، وأول من دونت له مقامات ، وقد حاكاه الحريرى (٤٤٧ — ٥١٦) واعترف بفضله ثم نسج على منوالهما القاضى حميد الدين أبو بكر البلخى ، فى مقاماته التى بدأ كتابتها بالفارسية سنة ٥٥١

بديع الزمان والخوارزمى

وبنيسابور تعرف بديع الزمان بأبى بكر الخوارزمى . ورآى ما كان له من منزلة رفيعة فى قومه ، فحسده على نعمته ، وعز عليه أن يراه متمتعاً بهذه المنزلة ، وهو يعتقد أنه أعلا منه قدراً ، فاحتال بديع الزمان حتى اتصل به وكان أول ما كتب اليه : (١٢٨)

إنا اقرب الأستاذ أطال الله بقاءه كما طرب النشوان مالت به الخمر ، ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر ، ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب ، ومن الابتهاج بمرآه كما اهتز تحت البارح الغض الرطب ، فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى اليه ما بين قصبتى العراق وخراسان ، بل ما بين عتبتى نيسابور وجرجان ، وكيف اهتزازه لضيف فى بردة جمال ، وجلدة جمال

رث الشمائل منهج الأثواب بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو أيده الله ولى إنعامه ، بانفاذ غلامه الى مستقرى ، لأفضى اليه بسرى إن شاء الله تعالى

فلم يكن من حظ الخوارزمى العاثر وطالعه السيء الا أن رماه بأقصى سهم فى جعبته ، فجمعه ببديع الزمان ، وكان الخوارزمى شيخاً هرماً ، حسن الظن بنفسه ، شديد الوثوق بمقدرته ونباهة شأنه ، فدعاه ذلك الى أن يسلك سبيل التكبر ، ويتبع خطة الترفع ، على عدوه الذى كان يظنه من خمول الذكر ، وصغر السن ، بحيث لا يجرؤ على منافسته وتحدى أسبقيته ولكن البديع لم يزل يكاتب الخوارزمى ، والخوارزمى يغلظ فى الرد عليه ، حتى انتهى بهم

الأمرالى حرب كلامية لم يلبث خبرها أن انتشر بين أدباء نيسابور وغيرهم ، فضرب كل فيها بسهم ، وانقسموا الى حزبين ، أحدهما مع بديع الزمان وثانيهما عليه .

وقد كانت الجلسات تعقد والحفلات تقام ليشهد الناس ما يجرى بين هذين البطلين من صراع ومنافرة ومبادهة، وقد انعقد إجماع المؤرخين على أن البديع قد أبدع، وأتى بالعجب العجاب ، فى هذه الحرب الطاحنة، وأنه صرع قرنه صرعة لم تقم له بعدها قائمة ، ولم يزل قلبه يدمى حتى قضى عليه ألمه ، وكبر سنه ، فمات كاسف البال ، وخلا الجو لقرنه . فعاش عيشة هنيئة راضية ، وأصبح كاتب العصر ونابغة الدهر، ولقب ببديع الزمان .

والحق أن بديع الزمان كان شديداً على ذلك الكهل ، وأنه لم يتورع فى هجائه ونقده . بل كان يحمل على صاحبه حملات عنيفة، ويطلق للسانه العنان، فينطق بفحش القول ، وسقط الكلام . وغير ذلك مما يمجه الذوق السليم ، وتأباه النفس الكريمة أنظر ص ١٩٩ ، ٣٨٩

وبديع الزمان بعد هذا الانتصار الباهر ، وبعد تلك الحملات العنيفة ، لايحمل حقدا على صاحبه، ولا يفرح لمصائبه، بل إنه لما مرض أسف عليه ، وكتب جوابا عمن كتب يهنئه بمرضه : (١٨٦)

الحر أطال الله بقاءك لاسيما اذا عرف الدهر معرفتى، ووصف أحواله صفتى ، اذا نظر علم أن نعم الدهر مادامت معدومة . فهى أمانى . فان وجدت فهى عوارى . وإن محن الزمان وإن مطلت فستنفد ، وإن لم تصب فكأن قد ، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه ، والشامت إن أفلت فليس يفوت ، وإن لم يمت فسيموت — وهذا الفاضل شفاه الله وإن ظاهر بالعداوة قليلا ، فقد باطناه وداً جميلا ، والحر عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند اللزوم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، فلا تتصور حالى الا بحالتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، وقاه الله المكروه ، ووقانى سماع السوء فيه بحوله ولطفه .

(للبحث بقية) (ح . ع)

مؤتمر للعائلة

الاستاذ علي نجيب

شكرت للعناية الآلهية ، فقد قدر لفكرتى فى عقد مؤتمر اسلامى للعائلة ، أن تعود للظهور ، على صفحات مجلة المعرفة الزاهرة . وأن يكون الداعى لها اليوم سعادة الاستاذ الكبير احمد شفيق باشا . فقد قرأت فى مجلة المعرفة مادبجه يراع سعادته ، ومادبجه يراع الكاتبة الاديبة الآنسة نظلة الحكيم ، المدرسة بمدرسة السنية للبنات محبذة ومؤيدة هذا الاقتراح

فحمداً لله وشكراً على العودة الى التفكير فى هذا الموضوع الحيوى الكبير ، والذى ارجوه ان لايهمل زميلنا الفاضل الكاتب المجيد صاحب مجلة المعرفة هذا الاقتراح القيم بل يظل يدأب على الترويج والدعاية ، عسى أن يكون نصيب الدعوة هذه المرة النجاح والفلاح

على انى أود أن اذكر فى هذه العجالة ، منوها الى فكرة سعادة فقيد الوطنية المغفور له على فهمى كامل بك الذى اقترح علينا يوم دعونا لعقد مؤتمر اسلامى للعائلة بان نجعل الدعوة عامة لجميع الملل والنحل ، وفيما يلى نص كتاب سعادته رحمه الله :

بعد التحية ورد الينا مكتوبكم ، الذى تسألوننا الرأى فى عقد مؤتمر للعائلة ليمحص الرذائل المنتشرة فى البلاد . وان رأينا الموافقة التامة لان المجادلات فى الخير العام وطلب عضد الحكومة فى تنفيذ القرارت لمن الواجبات على الجماعات ، والافراد العاملة للنصح والارشاد ورأب الصدوع المروعه :

وانكم اذا دعوتم الى عقد مؤتمر كهذا الذى اقترحتموه . فلتجعلوه مؤتمراً عاما غير خاص بطائفة دون طائفة ، تحت رئاسة رجل كبير ، من ذوى النفوذ الادبى ، ولتدعوا اليه علماء شرعيين وقساوسة واطباء ، واجتماعيين وكبار رجال الاحزاب ، وغيرهم ، ممن يعينون على تنفيذ قراره ويكون لهم فى نظر الجمهور شأن ، وان يكون عقد المؤتمر فى شهر ديسمبر المقبل . ولا يفوتكم ان يكون بين لجنة تنظيمه سيدتان كبيرتان ، مثل السيدة هدى هانم شعراوى والسيدة استر فهمى بك .

هذا رأينا قد أبديناه راجين لكم التوفيق ولمصر السعادة ومكارم الاخلاق ؟

وبعد فلعلى قد قمت ببعض الواجب . وكلى أمل أن يعقد مؤتمر للعائلة قريباً فالحالة الحاضرة تستوجب ذلك ولى عودة الى هذا الموضوع فى فرص أخرى .

علي نجيب

مدير الصور الاجتماعية . بكالوريوس فى الآداب

من الشرق الى الغرب

للاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

الانسان نوع واحد ، من أب وأم ، فأصبح شعوباً وقبائل. فتكاثروا أفخاذاً وعشائر لتزداد السعادة ويتم الهناء فى الأمم والأفراد ، انتشروا فى الأرض شرقا وغرباً . فكانوا شرقيين وغربيين . الشرق أب ، والغرب ابنه ، والأب يعطف على ابنه . بدافع المحبة والولاء . أما الديانات فكلها شرقية ، إذ فيها البوذية والكونفوشيوسية ، واليهودية ، والنصرانية ، والاسلام. زحف من الغرب الى الشرق ، اليونانيون والبطالسة والرومان من قبل وبعد ميلاد المسيح . واقتسموا السلطة هم والفرس فى الشرق الأدنى وهم غاصبون. هنالك قال الأب لابنه، أيها الابن العزيز، لئن رميتنى بحجر لأرمينك بالتمر. لاتخرجن من دار أبيك الا بعد أن أهديك الصراط المستقيم . وهل ذلك إلا قول المسيح عليه السلام . اعبدوا الله أيها الأبناء ، وافشوا فى الأرض السلام . لا سلاح ، لا قتال ، لا جدال . كونوا عباد الله إخواناً

وهل سبب ذلك إلا أنه رآهم يعبدون غير الله ؟ فاليونان والرومان كانوا يعبدون الكواكب والأصنام . والفرنسيون كانت تشبه عبادتهم عبادة أهل الهند الوثنيين . والانجليز كانوا يسجدون للصخور والحجارة ولمنابع المياه . فأما أستوريا (النمسا) وبروسيا (المانيا) والروسيا واسبانيا والبرتغال وهولنده والدانيمارك والسويد والنرويج وسويسرا فان دينهم القديم دين من ذكرناهم أولا حذو القذة بالقذة . فلما رآهم على هذه الحال دعاهم إلى عبادة الله وإلى السلام . فدخلوا فى الدين المسيحى أفواجا . ففرنسا سنة ٤٩٦ م وإيطاليا سنة ٥٠٠ م وانجلترا سنة ٥٩٦ م ويقرب من هؤلاء فى التاريخ الاسبانيون والنمساويون والبرتغال الى آخر من ذكرنا ، ما عدا دولة الروسيا فانها لم تدخل الا فى نحو القرن العاشر الميلادى . ولكن لما دخلوا المسيحية لم يعملوا بما علمه المسيح من السلام العام . إذ بقوا فى الشرق ، وازداد ظلم الرومان للشرقيين . مم ذا كان ؟ ظهر نبى عربى فى صحراء قاحلة وقال كما قال المسيح :

أفشوا السلام ، وأديموا الصيام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا جنة ربكم بسلام ودعاكم الى الاسلام والسلام العام ، واستعمل السيف عند الحاجة بشروط خاصة ، لأن

المسيح قبله لم يخضد من شوكتهم، ولم يعملوا بنصائحه فى السلام، فيتركوا الشرق للشرقيين الذين هم أساتذة لهم معلمون

لم يمض على امتشاق الحسام الاسلامى عشرون سنة حتى عادت المياه الى مجاريها ، وتركوا الشرق الى أهله . إذن الاسلام قد أتم ما ابتدأته المسيحية بسلام أهل الأرض . فسلام المسيح عقائد . وسلام الاسلام عقائد وأعمال ، هنالك أخذ النور يمتد فى الشرق ، والظلام يعم فى الغرب . واستبد البابوية الرومانيون ، وقتلوا وأحرقوا بالنار ألوفا وأذلوا ملوكهم وأذاقوهم سوء العذاب . قال المسيح لهم : « طوبى للرحماء فانهم يرحمون »

«طوبى لصانعى السلام فانهم أحباب الله يدعون » فخالفوا قوله . ففى سنة ٧٨٢ م قبض شرلمان بايعاذ إينوشنسيوس الحبر الرومانى على أربعة آلاف سكسونى فى مدينة « واردن » وضرب اعناقهم فى يوم واحد لأنهم أبوا قبول العماد . وفى سنة ١٠٠٧ م أحرق فى مدينة « أورليا » جملة هراطقة وهم أحياء وتبع ذلك كثير من القتل والاحراق فى سنة ١١٢٤ م وسنة ١١٥٥ م حتى عم الظلم والاهلاك والتدمير . وأسس ديوان التفتيش فى سنة ١١٨٢ م وصادق عليه البابا اينوشنسيوس الثالث وثبته البابا « غريغوريوس » وتسلم « دومينيكوس » ورهبان ادارته وسودوا صفحات التاريخ باحراق وقتل الملايين من الناس .

هنالك ساقتهم العناية الالهية الى الشرق ، كما ساقتهم فى المرة الأولى التى فيها اعتنقوا دين المسيح ، لأن فى الشرق نوراً اسلامياً ، متى أشرق على ربوعهم قل ذلك الظلام ، إن الله هو الذى رحمهم بانبعاث نفوس رجال الدين الى اغرائهم على أهل الشرق بحجة المدافعة عن الأماكن المقدسة، فأثروا الحروب الصليبية ودام الصراع نحو ٢٠٠ سنة فرجعوا يحملون فى صدورهم نور العلم والاصلاح ، والحرية والاخاء . بسبب معاشرة أهل الاسلام ، فلم يملكوا الأماكن المقدسة ، ولا بلاد الشرق ، ولكن ملكوا ناحية السيادة ، وانتزعوها من رجال الدين الذين أغروهم على محاربة الشرقيين ، فكانت الهزيمة لأولئك البابوات الذين هم فى الحقيقة الجانون على الدين ، لا الشرقيون

ورجال الدين أرادوا الانتقام من الشرق بلا حجة ، فأراد الله انتقاص سلطتهم بالعدل فكان الاغراء بالانتقام راجعاً اليهم « إن ربى لعلى صراط مستقيم »

فهل ظهر «فيهم لوثر» المصلح العظيم وفولتير وروسو ، واضرابهم الا بعد اطلاعهم على كتب منقولة فى تعاليم الاسلام «وأمرهم شورى بينهم»

ألم يقل سديو الفرنسى فى كتابه تاريخ العرب : إن اللاتينيين استمدوا العلوم الفلكية الأولية من العرب . فان جوبرت الذى كان بابا رومية الملقب بسلوستور الثانى ، أدخل من سنة ٩٧٠م الى سنة ٩٨٠ م عند الأفرنج العلوم الرياضية ، التى كسبها من عرب اسبانيا . وادهيلارد الانجليزى ساح من سنة ١١١٠ — ١١٢٠ م فى كل من اسبانيا ومصر وترجم مبادىء إقليدس من العربية ، بعد أن ترجمها العرب من اليونانية ، وهكذا سارت أمم أوربا وعلماؤها مثل الخواجا رودلف من أهالى « بروجس » البلجيكية اذ ترجم مسائل بطليموس فى الفلك «وبتليون» البولندى ترجم كتاب «الخازن» فى علم « الضوء والمناظر » وهكذا كثير وكثير جداً .

هكذا هم أولاء اليوم رجعوا مرة ثالثة الى الشرق ، بلا حجة الا اهتضام حقوقه ، وإذلال الشرقيين . قبلوا مسيحيتنا منذ ١٤ قرناً ، ففى نصفها الاول لم يحسنوا استعمالها فكانو بها قوماً مستعبدين . وأذلهم رجال الدين ، وفى نصفها الثانى أشرقت عليهم أنوار إسلاميتنا فساروا إلى الأمام ، نحن الآباء وهم الأبناء . بعلومنا ودياناتنا ارتقوا . فهل نصيب الاب من ابنه أن تكون الخيانة . والوصاية الجاهلة . والجشع الغشوم والاستبداد والاستعمار ؟ أغضبتم الانسانية أيها الغربيون (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد) (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) وما مثلكم فى ذلك الا كمثل النمل . إذ تحارب جيوشه أنواعا أخرى منه ويعيش الغالبون من ثمرات كد المغلوبين ، فينقرض الغالبون لكسلهم على مدى الزمان ، فأنتم فى ذلك كالنمل أو كدولة الرومان

ها نحن أولاء أخذنا نوازن بيننا أيام عظمة ملكنا ، وبينكم فى أيامنا هذه ، فألفينا عهودنا مع الضعفاء محفوظة ، فأما أنتم فلا عهد لكم مع الضعفاء

فها كم أيها الأبناء ما جاء فى كتاب « اشهر مشاهير الاسلام » تحت عنوان (جندى سابور)

روى الطبرى أن أبا حبرة لما فرغ من «السوس» خرج من جنده حتى نزل على جندى سابور ، وزر بن عبدالله بن كليب ، فحاصرهم فأقاموا عليها ، يغادونهم ويراوحونهم القتال . فلم

يفجأهم يوماً الا وأبواب البلد تفتح ، ثم خرج الناس وخرج من فى الأسواق ، فانبث أهلها فحار المسلمون فى ذلك ، وأرسلوا فسألوهم أن ما لكم ، قالوا رميتم الينا بالأمان ، وأقررنا لكم بالجزية ، على أن تمنعونا ، فقال المسلمون مافعلنا فقال أهل جندى سابور ، ونحن ما كذبنا فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا عبد يسمى «مكنيفاً » كان أصله منها هو الذى كتب لهم . فقالوا إنما هو عبد ، فقالوا إنا لا نعرف حركم من عبدكم ، فقد جاءنا أمان ، فنحن عليه قد قبلنا ، ولم نبدل ، فان شئتم فاغدروا ، فأمسكوا عنهم ، وكتبوا بذلك الى عمر فكتب اليهم :

إن الله عظم الوفاء ،فلا تكونوا أوفياء حتى تفوا . ما دمتم فى شك أجيروهم وأوفوا لهم فوفوا لهم وانصرفوا عنهم . انتهى .

أليس هذا تاريخنا وتاريخكم ، وفينا بعهد عبدلنا ، ولم تفوا بعهود أقطاب سياستكم ، اذن عالم الانسان اليوم مجرم كذاب

أيها الاخوة الغربيون : الدهر قلب . وتلك الايام نداولها بين الناس . والشرق هو الشرق وقديماً هجمت عليكم أمم قبل التاريخ المسيحى ، فأهلكوا الحرث والنسل . ثم أعادوا الكرة منذ نحو سبعة قرون . ولا يزال أعقاب التتار فى بلاد النمسا الى الآن ، وهاهم التتار المسلمون فى قلب الروسيا المسيحية . أليس هؤلاء أمماً شرقية . حذار . حذار أيها الغربيون . إن فلاسفتكم ، وكبار علمائكم ، يعلمون أن عملكم عاقبته خسران لكم ، ولكنكم لا تحبون الناصحين . لان العامة يسوقون نوابكم الى مزاولة الشهوات الحاضرة الزائلة ، وأعينهم فى غطاء والجهل يطمس على أبصارهم ، فلا يدركون سر العواقب ، فهل ترضون أيها السواس أن تكونوا أسرى العامة تابعين لأهوائهم . ألا ساء ما تفعلون . شر الشرق أبدى ناجذيه لكم . آن وقت الحساب ، واستيقظ الشرق فهو كزرع دفن تحت الثلج ثم أرسلت الشمس أشعتها فذاب ، فأسرع الزرع فى نمائه

إحذروا غضبة الشرقيين . اليابان والصين والهند والترك والفرس والعرب والافغان مع هؤلاء روسيا كلهم متحفزون أفلا تعقلون ، أفلا تنظرون ، فياليت شعرى من ذا الذى يصد ناموس النشوء والارتقاء عن مجراه . ألكم قدرة على ايقاف الشمس عن مجراها ، أو الهواء عن مسراه ، اذا خطر لكم ذلك ، فأهون به خاطراً وما أضل هواه .

طنطاوى جوهرى

الكتب

للأستاذ عبد اللطيف النشار

عمر جيل ما بين شق كتاب ... وحياة الحياة فى الاسفار

حين يمضى الربيع بالورد نعتا ... ض بما فى قماقم العطار

وقليل من الحياة الذى يبدو ... لأسماعنـــــا وللأبصار

والتجاريب غالياً ما غلا منها ... قليل كواحة فى قفار

قد تمر الايام ليست تزيد المر ... ء إلا نقصاً من الأعمار

شارك الذاهبين فى العمر من ... طالع ما خلفوا من الآثار

شارك المقبلين فى العمر من ... كان كبير الآمال والأوطار

مد فى جانبى حياتى أنى ... فى أمانى عائش وادكارى

مع نسلى أعيش حيناً وحيناً ... مع جدى وتارة مع جارى

ومحب الحياة لا يجد المقنـ ... ـع للنفس فى الليالى القصار

ما فراراً من حاضرى أرد الكتـ ... ـب ولكن من المنون فرارى

أستزيد الذى أراه بما أسـ ... ـمع عن مثله من الاخبار

ما فراراً من معشرى أبتغى الوحـ ... ـدة إنى بمعشرى غير زار

بل لأرتاد للذين سيأتون ... حياة قليلة الأخطار

حاضرى حاضر السواد ولكن ... بعدت عن ظنونهم أفكارى

عجب الصحب أنى مستخف ... بكثير مما وعوا من صغار

وتلقى ما يظنون حقاً ... بابتسام الجحود والانكار

وارتجالى فى مشكل الأمر رأياً ... وانصرافى عن شكهم وازورارى

أيها الصحب فى تجاريب من مروا ... اقتطافى عذب الجنى واعتصارى

فى تجاريب من خلوا ما رأينا ... حدقها ندحة عن التكرار

لهج القوم بالجديد فكل   منهمو آدم وكل يماري
للتقاليد والسوابق عندى   ما لسار فى ظلمة من منار
وعلى ضوئهم وأضواء عينى   مسيرى فيما يسن اختيارى
لايعيب المصباح أنى ماعشـ   ـت على ضوئه يكون ابتكارى
لجهول بصالح الآثار   كان حب الجديد شر اعتذار
كذب القائلون بالفصل   مابين ثنايا العصور والأدهار
قد لعمرى تدرج الناس لكن   ليس بين الأيام من أسوار
درجاً بعضه يلم ببعض   كاتصال الثمار بالأشجار
لقتلنا جهودنا لوزعمنا   أن مامر كله فى النار
عاش عمر النشار بعد قرون   من علي روائع النشار

عبد اللطيف النشار

بعد الهجر

بروحى التى قالت فديتك فاصطبر   وأدمعنا عند الفراق بحور
عقدت لكم عهداً فلست أخونه   حتى ولو صار الطويل قصير
أعاير فضل العالمين بفعلهم   وفعلك طراً فاضل وكبير
فمن ياترى أشكو اليه مصيبتى   ومن بدواء العاشقين خبير
لقيت هواناً بعد عز ونعمة   ووجداً له طى الفؤاد زفير
أراها على بعد بعين تصورى   فأفرح لكن لايدوم سرور
وكم مرة فى الحلم زار خيالها   ولكن عقباه الكدور تزور
وما عشت من بعد الأحبة سلوة   ولكن لألقى ماينال صبور

عبد العزيز جادو

دير الزور
في زمن الخلفاء الراشدين

للشيخ محمد سعيد العرفي

بعد حروب طويلة في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، استولى المسلمون على تلك البلاد في سنة ٢٧ هـ وأذلوا من فيها من عشائر ربيعة . تغلب وبكر وغيرهما ، وكانت قرقيسية هي المعقل لمن تحدثه نفسه بالشر منهم ، لوقوعها في رأس زاوية خطاها الفرات والخابور وهي شرقي دير الزور نحو عشرة أميال . فانتقضت عدة مرات ، فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهدم قلعتها التي لم يبق الآن منها الا أثر بسيط ، وتسمى اليوم «البصيرة» بالتصغير

وأما في زمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقد حصلت فيها حروب صغيرة سنة ٣٧ هـ تلك الحروب التي سفكت فيها دماء عشرات ألوف من المسلمين ، وكشفت عن قلوب حنقة على الاسلام ، وجدتها فرصة انفجر فيها بركان غيظها على الدين الحنيفي ، وابتدأ النزاع يستفحل منذ ذلك الزمن الى عصرنا هذا ، والله أعلم بما بعده ، بحيث لم ير الاسلام في هذه القرون الأربعة عشر سعادة وطمأنينة الا أدواراً متقطعة ، غالبها ممزوج بآلام تترى وويلات تتعاقب

دير الزور في زمن بني أمية

عقب قتل الحسين رضي الله عنه في موقع الطف من أرض كربلاء ١٠ محرم سنة ٦٠ هـ ندم الموالون له على تقاعسهم عن نصرته ، ورأوا أن هذا ذنب لا يغتفر الا بتجريد الحسام في وجه الأمويين ، حتى يأخذوا الثار أو يموتوا ، وإن التوبة هي أحد هذين الأمرين ، لذلك سمي هؤلاء (التوابين) وبدأوا يجمعون قواهم تحت لواء سليمان بن صرد الخزاعي الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وبايعوه على ذلك وما برح أمرهم بازدياد ، حتى اذا حلت سنة ٦٥ هـ أعلنوا الحرب ، وخرجوا من الكوفة باربعة آلاف على طريق الجزيرة ، حتى وصلوا رأس العين ، وهناك التقوا بالجيوش الأموية ، تحت قيادة عبيد الله بن زياد ، وبعد حروب طويلة كانت سجالا ، انتهت في جمادى الأولى من السنة المذكورة بقتل سليمان سليمان رضي الله وأكثر أعوانه ومعظم جيشه

ثم تقدمت الجيوش الاموية نحو سوار العراق الذى كان شعلة نار تتأجج ، ورأى المختار الثقفى هذه الحال فرصة لما يريده من الملك وادعاء النبوة ، تحت ستار الطلب بثار الحسين رضى الله عنه ، فجهز جيوشه بعد ذلك ، والتقى بعبيدالله بن زياد فى السهول التى بين الموصل ونصيبين ، فقتل عبيد الله بن زياد واستفحل أمر المختار حتى قتله مصعب بن الزبير . ثم أن مصعباً قتل أيضاً ، وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفى الى العراق وبقى أمر الجزيرة ووادى الفرات يدور بين هدنة ، واختلال حتى كان آخر خلفاء الامويين مروان الجعدى أميرها وفيها أعلن خلافته التى انتهت سنة ١٣٢ وبها انتهت الدولة الاموية

دير الزور في زمن الدولة العباسية

كان هارون الرشيد الخليفة الخامس للعباسيين ، قد اختار الرقة مصيفاً له ، ولا زال باب بلاطه موجوداً شرقي المدينة متصلا بها ، هدم الافرنسيون قسما منه بمدافعهم أثناء حروبهم مع المرحوم الامير حاكم بن مهيد شيخ عشيرة الفدعان سنة ١٣٣٩ ﻫ وكانت الرقة للرشيد العاصمة الثانية بعد بغداد ، ولكن هذا لم يمنعها من أن تكون منبعاً للقلاقل ، لأن ما فيها من الخيرات الكثيرة يدعو الى سهولة القيام بالثورات واعلان العصيان على الحكام لعدم الاحتياج الى زاد أو ماء ، بسبب كثرة الأشجار المثمرة من جميع الأنواع . ولكن لم يبق منها الا شجر البطم الذى يصلح ثمره غذاء يخزن ويؤكل فى الصيف والشتاء ويستخرجون منه زيتاً يأتدمون به . لذلك نجد فيها الثورات متتابعة ، وكتب التاريخ ملأى بها : فمن ذلك فى سنة ١٦٢ ﻫ ثار عبد السلام بن هاشم اليشكرى فى الجزيرة على المهدى العباسى ، وحاربه حتى اذا غرته قوته ، ورحل الى قنسرين بالقرب من حلب ، قتله هناك شبيب بن واج أحد قواد المهدى .

وفى سنة ١٧١ ﻫ خرج الصحصاح على الرشيد فى الجزيرة ، ولكنه قتل فى دروين من ديار ربيعة ، وقد انقطع النهر الذى يجرى عليها ، وسمى باسمها (نهر دروين) وهو شعبة من الخابور يصب فى الفرات تجاه البوكمال ، ولم يبق الا آثاره حتى صار من الأمثال «خراب دروين وفى سنة ١٧٦ ﻫ خرج على الرشيد أيضا الفضل ، ولكن لم يلبث الا يسيراً حتى قتل .

وفى سنة ١٧٨ ﻫ خرج أيضاً الوليد بن طريف التغلبى ، وفتك فى ابراهيم بن خازم بن خزيمة والى نصيبين . واستولى على الجزيرة وأرض السواد ، ولا زال أمره فى سعة وملكه فى

انتشار ونفوذه فى ازدياد ، حتى اذا هل شهر رمضان سنة ١٧٩ هـ أرسل الرشيد أحد قواده المشهورين يزيد بن مزيد الشيبانى فما زال يجالده ويحاربه ، حتى خشى الرشيد أن يتفقا عليه لان كلاهما من ربيعة . ولكن قتل الوليد ، ولذلك فان الرشيد لما بلغه خبر موت الوليد اعتمر من ساعته شكراً لله تعالى ، وتوجه من حينه الى مكة المكرمة لاداء العمرة ، وقد تألم لقتله بنوا ربيعة ، حتى قال الشاعر معرباً عن تأثرهم من هذه الحرب بقوله :

وائل بعضها يقتل بعضاً   لا يفل الحديد الا الحديدا

ورثته أخته ليلى بالقصيدة المشهورة التى أولها

بتل تباثاً رسم قبر كأنه   على علم فوق الجبال منيف

ومنها البيتين المشهورين وهما :

فيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد الا من التقى   ولا المال الا من قنى وسيوف

ولا زال قبره على شاطىء الخابور بالقرب من كوكب . وقد اعتبرته العامة مزاراً يتبركون به ويقدمون اليه النذور ، كما يقع فى مصر . فان المماليك قد دفن كثير منهم فى المساجد أو فوق قبره قبة ، فيظنها الناس مزاراً للتبرك ، فيقدسونهم باعتبارهم أتقياء بررة

ثم مشى على أثر الوليد خراشة الشيبانى ، فاعلن عصيانه على الرشيد فى الجزيرة سنة ١٨٠ هـ ولكن لم يلبث الا يسيراً حتى قتل .

وأما مالك بن طوق فقد بنى الرحبة . وهى قلعة كانت على شاطىء الفرات وبعدت الآن عنها مسافة تقرب من ثلاثة أميال ، بنيت فيها مدينة تدعى الآن الميادين — على اعتبار الميل أربعة آلاف خطوة فى كل تقدير أو دوناه — وعصى فيها سنين عديدة ، وفى آخر الامر غلب وحصل له العفو

ولما أعلنت الحرب بين الامين والمأمون ابنى هارون الرشيد ، لم يجد الخليفة الامين من يلبى نداءه باخلاص ، الا سكان دير الزور ، وكان نصر بن سيار العقيلى هو المعلن لنصرته بعد ما قتل ، سنة ١٩٨ إذ رأى نصر هذا أن دولة الامين أعجمية فأعلن عصيانه عليها حتى أنه لما كلف بأن يبايع أحداً من خصوم العباسيين أبى ، وقال إن هواى فى العباسيين وانما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون العجم ، وأقام فى الرقة وفى حران وبقى سنين . ثم

ضعف شأنه ، لأن أنصاره تخلوا عنه بسبب رأيه الذي أعلنه. وكان أيضاً سبب عفو المأمون عنه

ولا زالت على هذا الحال حتى كانت سنة ٦٥٦ هـ وفيها محا هلاكو الدولة العباسية من العراق ، وأخرب تلك البلاد ، ثم عقبه تيمورلنك سنة ٨٠٤ فاكمل هدم ما بقي من الآثار وتمزيق الانقاض ، ولم تبق الا الاطلال فلا حول ولا قوة الا بالله .

بعد واقعتي هلاكو وتيمورلنك ، هجر أهل المدن المتخربة الصحاري واستبدلوا البنيان بالخيام وبيوت الشعر ، حتى أصبحوا الاكثرية المطلقة ، وعاشت بعد ذلك في عزلة عن العالم قروناً طويلة ، فوضى بلا حكومة ، وإنما يحكم البلاد رؤساء القبائل ، ويسمى ذلك العهد بزمن «الفلت» أي لعدم خضوعهم للدولة العثمانية ، وانفلاتهم من قيودها الثقيلة ، وكانوا في غنى عن العالم كله ، بما تنتجه الارض من الاغذية وزراعة القطن ، وتقوم به البلاد من المصنوعات والاعمال التي تكفيهم وتغنيهم عن جلب حوائجهم من قطر آخر . حتى انه كان في أغلب بيوت مدينة دير الزور والميادين والرقة مصانع نسج الصوف والقطن بحيث تكفي الحضريين والبدو المحيطين بهم ، فلم يحتاجوا الى غيرهم مدة الفوضى كلها . وهذا هو الذي جعلهم يستطيعون الاحتفاظ بحياتهم الاستقلالية ، ويعدون لها العدد المادية ، على حسب وسعهم وما يكفل لهم تأمين ما يقصدونه ، فانك تجد المدينة القديمة متراصة على بعضها ، وبعبارة أفصح مجموعة حجرات فوق كل حجرة غرفة أو سهوة — أي جزء غرفة — والشارع لا يزيد على ثلاثة أذرع ، ليسهل تعاونهم مع بعضهم ، فقد كان الفلاح يحرث أو يحصد وهو متنكب بندقيته متقلد حسامه ، ومثله العامل ، خشية من الطوارئ ، فقد كانوا مزارعين أرباب صنايع . محاربين في آن واحد ، ولذلك فان هذه البلاد كلما مر بها طامع آب خائباً فقد غزتها الجيوش العثمانية مرات ، ولم توفق لاخضاعها ، فتركتها ، لوقوع البلاد في غابات كثيرة يصعب على الجيش النظامي أو الاجنبي أن ينازلهم ، لانهم أعرف منه بالمواقع الحربية والطرق المفيدة والمسببة للظفر .

وبعد استفحال أمر الوهابيين ، واستيلائهم المرة الاولى على الحجاز سنة ١٢٢٠ هـ أرادوا أيضاً أن يحتلوا دير الزور بقيادة أحد شيوخهم المسمى «القعيط» فنزل بقرب البلد كضيف أولاً ثم هجم ليلاً بجنوده يريد احتلال مدينة دير الزور قاعدة البلاد بالاستيلاء على قصر الشباب المبني خارج المدينة — هو اليوم شرقي دار الحكومة متصل بها — ومنه

يدخلونها من باب الجسر، الذى هو الباب الشرقي . لأن للمدينة بابان باب الجسر عند الجامع العمرى، ويقابله فى الغرب باب الهواء عند العوير . فقتل القائد مع أكثر جيشه ولم ينج الا النادر .

وفى غضون سنة ١٢٥٠ وصل اليها أحد قواد ابراهيم باشا ابن محمد على المسمى «قفطان» فبقى أشهراً كضيف ثم خرج منها .

وفى سنة ١٢٨٠هـ مر السردار عمر باشا، والى بغداد، وكانت مدينة دير الزور منقسمة على نفسها، وقواها منهوكة، من حروبها مع العشائر، مع استمرار النزاع، وكان بعض المفسدين من الأسر التى لا تزال مثالا للفساد والاضرار، أشعل نار الفتنة بحركات جنونية، حيث جمع من الأهليين طحينا كضيافة للعساكر التركية، فباعه منهم بعد أن مزجه بالجص فحصلت المصادمة مع الجيوش العثمانية، التى غلبت فى أول الأمر حيث أن الأهليين متمرنون على السلاح أكثر من الجيش التركى، فتلفت منهم مئات، ولم يقتل من الأهليين شخص واحد ولكن أعانه بعض الزعماء، وعلموه مداخل البلدة ومواطن ضعفها، فضرب بمدافعه مأذنة الجامع الكبير فقلع رأسها، ولا يزال مشاهداً حتى الآن ثم دخل الجيش من باب الهواء لأنه كان خلواً عن المحاربين، حيث كانت الجبهة فى الوسط فأمر السردار باباحة أعراض المدينة ودماء أهلها وأموالهم، شأن الاتراك عندما يدخلون بلدة عنوة. فبقيت مدة كذلك . ثم جاءت العشائر ونهبت المدينة، حتى صارت قاعاً صفصفاً، فكانت نكبة عظيمة جداً . ثم أناب عنه قائمقاماً عسكرياً، وجعلها مربوطة الى بغداد، بعد أن أخذ مائتى شاب استخدمهم جنوداً فى السليمانية أحدى المدن المربوطة فى ولاية الموصل، وذلك عوضاً عما تلف من جنوده .

محمد سعيد العرفى

كن عظيما

قال بعضهم : اكثر الناس يتعلمون لغتين لا يحسنون الكلام أو الكتابة باحداهما . ويدرسون فرعين من فروع العلم لا يتقنونهما، ويزاولون فنين دون أن يبلغوا حد الاجادة فى أحدهما . تلك علة التقلب وهو ذلك السد المنيع الحائل بين الحقارة والعظمة . لقد مضى زمان كان على العالم فيه أن يعرف قليلا من كل شىء . وجاء زمن أصبح الجهل فى كل شىء إلا ما تتخصص فيه محموداً . ولا يكون الانسان عظيما إلا إذا أجاد فى فنه

التصوف في الاسلام

للدكتور زكى مبارك

أكتب هذه الكلمة وأنا متردد حيران : لأني أشفق على الاسلام من الافراط فى المقترحات . يضاف إلي ذلك أن هذه الكلمة تخالف بعض الشيء ما جاء فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » من مهاجمة غلاة الصوفية . لا سيما وقد قررت هناك أن التصوف ليس فى جملته مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية . وانما هو مزيج من عدة مذاهب هندية وفارسية ويونانية نقلت الى المسلمين ، وصادفت هوى فى نفوس الزاهدين منهم ، فوسموها باسم الدين ووضعوا لها على حسابه القواعد والاصول .

ثم قضيت بما نصه :

« ويمكن الحكم بأن ما فى التصوف من الدعوة الي طهارة الباطن ، وحب الخير ، وبغض الشر ، وما الى ذلك مما يتعلق بخلوص النفس البشرية من خبيث الصفات ، يرجع فى جوهره الى روح الاسلام . أما مايختص بقطع العلائق مع الناس ، والتزهيد في الحياة ، فهو بعيد عن روح الدين : لان الاسلام دين فتح وسيطرة ، وهو يعد معتنقيه لان يكونوا سادة ، بخلاف التصوف فأنه يلبس أصحابه روح العبيد »

وأنا اليوم أعتقد أن التصوف ضرورى للاسلام . وقد صارحت محرر مجلة المعرفة بذلك فصاح : « زكى مبارك يرد على زكى مبارك »

ويظهر أنه لم يكن يسرنى أن أنقض اليوم ما قررت بالامس ، لهذا عدت الى كتاب (الاخلاق عند الغزالى) فرأيت أنى لم أسىء الي التصوف . وانما هاجمت الشعوذة التى يحيا بها المخبولون على حساب الدين

ومن الحق أن التصوف فتح الباب لجماعة من الجهلة الخادعين ، وأعانهم على تحقير الاسلام ، وتصويره بما ينافى الكرامة والجلال

ولا تزال مع الاسف بقايا لتلك العهود المظلمة ، فهناك فريق من الاوباش يتزيا بزي الصوفية ، ويعيش بوجهين : وجه للناس ووجه للشيطان !

وأمثال أولئك الدجالين يبغضون الجمهور فى التصوف واهله ، ويحملونه على مهاجمة جميع المريدين ولأترك هذا جانبا فقد شفيت صدرى في كتاب الاخلاق عند الغزالى . وأعود فأصارح جماهير المسلمين بالحقيقة الآتية :

لقد شاع منذ أزمان أن الاسلام دين ساذج بسيط تكفى فيه كلمة التوحيد . وانا أرى أن بساطة الاسلام كما كانت سبب انتشاره ستكون من أسباب ضعفه . وهذه حقيقة مؤلمة وإلى القارئ شرحها :

لو تقدم اثنان من الدعاة فى أمة وثنية ، وكان احدهما يبشر بالاسلام الخالص ، وثانيهما يبشر بالاسلام ممزوجا بالتصوف ، لكان الفوز للثانى بلا جدال

ذلك بأن المبشر بالاسلام الخالص ، يلقى كلمة التوحيد ، وطائفة من التعاليم المجردة ثم ينصرف . أما المبشر بالاسلام المتصوف ، فيضيف الى العقيدة ألوانا كثيرة من التعاليم والعبادات ، تنتهي بجذب المهتدى الى الدين الجديد . وفى رأيي أن التصوف فى الاسلام يقوم بنفس المهمة التى تقوم بها الكثلكة فى المسيحية . لان التصوف مجموعة من الانظمة الروحية التى تصل الرجل بربه وتبعث فيه حياة الوجدان

وهذا الذى أقوله لم أصل اليه إلا بعد تجارب . فالمؤمنون الحقيقيون عندنا هم فى الاغلب من معتنقي المبادئ الصوفية . كما أن المؤمنين الحقيقيين فى المسيحية ، هم في الاغلب من الكاثوليك

ولنا ان ندرس حياتنا الدينية بنزاهة ، ولو فعلنا لرأينا المساجد المزخرفة اقدر على جذب النفوس من المساجد العادية . ولا عبرة بما يقال كل يوم عن بساطة مسجد الرسول عليه السلام ، فذاك زمان وهذا زمان . والخلاصة ان التصوف الصحيح يقدم الى المسلمين ماتحتاج اليه أرواحهم من الانظمة الجذابة التي تصل أفئدتهم وصلا ابديا بالدين الحنيف

وأقرر هنا بصراحة أن رؤساء الدين عند المسيحيين أنفع من رؤساء الدين عندنا وأعرف بدخائل نفوس المؤمنين

وفي يقيني انه لا يبعد أن تقوم عما قليل حروب صليبية جديدة ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون

بقيت كلمة صغيرة : التصوف ضرورى للاسلام ، على شرط أن يكون نقيا نظيفا لا تشوبه الاهواء والاغراض ، فهل عندنا اليوم صوفية نطمئن اليهم ؟ قد يكون ذلك ، ولكن كيف ودعاة التصوف يعتمدون على اللحية الطويلة والكم العريض ؟

على أن الازهر لا يزال موجودا ، ومن الممكن أن نأمل أن تضيء من بعض جوانبه بوارق التصوف النقى النظيف

وبعد فتلك كلمة حق كتبناها فى صراحة كما طلب محرر المعرفة . فان أغضبت فريقا من الناس فلا ضير : لأنى رجل لا أعرف إلا ربى عز شأنه ، وأنا فى أنس به ، وهيهات أن أفكر في مجاملة من طغوا فى الدنيا على حساب الدين . والله من ورائهم محيط

زكي مبارك

اللغة العربية ومقامها بين اللغات

لمحمد الصاوى عمار

لا يشك منصف فى أن اللغة العربية من أكثر لغات العالم كلما . وأثبتها قدما . وأغزرها مادة . وأقومها جادة . وأصدقها حديثا لما يجول فى الضمائر . وتهجس به الخواطر . وأقواها مجاراة للسان . وموافقة للزمان

لكنها على سعتها وجمالها . وكثرة مفرداتها . وحسن أسلوبها . قد منيت بطائفة من الأدباء يلمزونها، ولا تقع أعينهم منها إلا كما تقع أعين الغربان على الجيف ، فلا يزالون يصورونها بصور بشعة منكرة ، تتأذى بها الأسماع . وتنفر منها الطباع ، حتى عافها كثير من الناشئين، وانصرفوا عنها إلى فقاقيع من الاوضاع - هى بالعامية أشبه - زينها لهم أولئك الغارون بما ألبسوها من زخرف الالوان وبهرج الادهان، وقدموها اليهم كما يقدم السم فى الدسم. فاذا ما قلبناها وجدناها ألفاظا ميتة لا روح فيها ولا رونق عليها، فلا نكاد نشم منها ريح البيان العربى، وان جاءت فى صوره وأوضاعه ، بل هى الى الرطانة الاعجمية أشبه منها باللغة العربية

وما البيان العربى الحق إلا صور من الشعر الجزل، أو النثر البليغ ، تستحيل اليها نفس الشاعر المطبوع ، أو الناثر الضليع، فى أقمصة من الالفاظ ، تكاد تلمسك شبح الموصوف إن كان « من المرئيات » أو تسمعك رنين أوتار قلبك إن كان من « الوجدانيات »

ولئن سألتهم ما الذى تنقمونه على اللغة العربية ليقولن (جمودها وقدمها وعدم مماشاتها للروح العصرية وخلوها من الشعر القصصى (Epique) والتمثيلى (DPAM) وغير ذلك من ألفاظ آلية تتحلب بها أفواههم فى مجال الذود عن بيضتهم والحض على دعوتهم

ويقيننا - ويقين كل من عنده سلامة فى التفكير ، وشيء من الذوق الصحيح - أنه ليس من الانصاف فى شيء أن ترمى اللغة العربية بالقصور ، والجمود عن مسايرة العصور . وهى اللغة الولود التى هيء لها من ضروب الاشتقاق مالم يتهيأ لأية لغة فى العالم وهى مع ذلك ثابتة عليه دون أن يفعل فى حروفها بل يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة . فمثلا مادة (ض ر ب) تتفرع عنها عدة مشتقات مختلفة الدلالة فتقول « ضرب للواقع منه الضرب وضرب للواقع عليه وضرب الجرح أى اشتد ألمه ، وضرب

الله مثلا، أى بين، وضربت ميعادا أى حددت، وضربت فى الارض أي سرت، وضربت القطن أى ندفته، وضربت الدراهم أي صنعتها، ولو غيرنا حركات هذه المادة فأسكنا حرف الراء منها لنتج الاصل المتضمن معنى الحدث وهو « الضرب » و « الضرب » هو اسم للمطر وهو أيضاً اسم للرجل الخفيف وأيضاً هو صنف من الاشياء ولو فتحنا « الراء » أيضاً لصار « الضرب » وهو اسم للعسل الابيض الغليظ وهكذا إلى آخر ماتدل عليه هذه المادة من المسميات ولو أشبعنا بعض حركات هذه المادة فقلنا مثلا (تضاربوا) لقوم ضرب بعضهم بعضا لايكفينا لاداء هذا المعنى (باللغات الآرية) أقل من أربع كلمات وتجد الانكليزي يقول مالا يقل عن خمس كلمات ومالفرنسي أو الالماني أو اليوناني أو الروماني بأوجز منه فى هذا البيان.

كما أنها من أحفل لغات العالم كلها بالكلمات المترادفة الكثيرة فى كل مناحى الحياة والعمران . اذ فيها مئات من الاسماء لمسمى واحد فتقول فى (الاسد) (سبع وليث وعضنفر وهزبر ورئبال وحيدرة وقسورة) إلى آخر ماجاء فى أسمائه التى جمعها بعضهم في كتاب يربى على المائتي صفحة . ولهذه المناسبة ذكر أن (الخوارزمى) دخل على أحد الولاة مرة فى عصره فقال أحد جلسائه (أهذا هو الكلب الذى يتقحم على الملك فأجابه الخوارزمى قائلا (الكلب هو الذي لايعرف للكلب مائة اسم مدحا ومائة اسم ذما ويحفظ مائة قصيدة فى مدحه ومثلها فى ذمه)(١) بدل بذلك على سعة علمه وبصره بلغة قومه

(١) لا نسلم بنسبة هذه الرواية للخوارزمى واذا كان كاتب المقال نقلها من أحد المصادر فليعرفنا عنه . والذى نعرفه عن هذه الرواية هو أنها منسوبة لابي العلاء المعري وقد وردت في المصادر التي رجعنا اليها بالرواية الآتية :

« دخل أبو العلاء المعري على المرتضى فعثر برجل فقال من هذا الكلب؟ فقال المعرى الكلب من لايعرف للكلب سبعين اسما . وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء فأقبل عليه اقبالا كثيرا »

راجع « أبو العلاء وماإليه ص ١٥٣ » «معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٦٩ » « بغية الوعاة للسيوطي ص ١٣٦ » « ثمرات الاوراق لابن حجة الحموى » « حياة الحيوان للدميرى » «الصبح المنبي عن غلطات المتنبي ج٢ ص ٦١ » « نكت الهميان فى نكت العميان»

وبهذه المناسبة نقول حبذا لو أن الكاتب أسند كل استشهاداته إلى مصادرها ، وإلا أهملنا كل مايرد لنا منه ، فقد نشرنا له ما نشرنا ، تشجيعا له بعد الحاحه الشديد المتوالى ، فليعذرنا القراء ، ولعله بعد هذا يريحنا قليلا ؟ المحرر

كما أن فيها عشرات من الكلمات المختلفة التي تدل على معان متحدة وبالعكس أي «كلمات متحدة تدل على معان مختلفة) فتقول في معني «الاعطاء» (وصلته ورفدته ومنحته وحبوته. وخولته وأوليته وأصفيته وسوغته وأتحفته ونفلته وواسيته وجبرته وأنلته وأجريت عليه وأسديت اليه وهكذا إلى آخر ماجاء في معني (الصلة) وتقول في (الابل) (والغنم) (ورق) كما قال رؤبه

فاغفر خطاياي وثمر (ورقي)

وتقول في (الاطفال) (ورق) كما قال (هدبة بن الخشرم)

ترى (ورق) الفتيان فينا كأنهم * دراهم منها جائزات وزائف

وتقول في (الدية) ورق وفي جمع الورقة (ورق)

بل ان فيها كلمات كثيرة تدل على معنيين متناقضين بلفظ واحد أو متحدة النطق ومختلفة الدلالة أو تصلح (للذم والمدح) وذات (الموصوف) واحدة لم تتغير - فتقول (جون) للاسود والأبيض وتقول (كلمتني) أي حدثتني (وكلمتني) أي جرحتني كما تقول أيضا (كل متني) أي ظهري

تقول هذا (مجاج) النحل تمدحه * وإن ذممت فقل (قيء) الذنابير

مدحا وذما وماجاوزت وصفهما * حسن البيان يرى الظلماء كالنور

ذلك إلي مافيها من ضروب الاعلال. والنحت والابدال وتنوع المجاز والاستعارة. والتشبيه والكناية. مع مراعاة الايجاز والقصد وإصابة الغرض وقوة المنطق. ولطف الاشارة. وحسن العبارة: كل ذلك واضح جلي في اللغة العربية في مظهريها النثر والشعر

أنظر إلى الاعرابي الذي وقع أسيرا في يد أعدائه وهو يتجسس عليهم، فحبسوه وألزموه بكتابة كتاب إلى - مليكه - يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم فكتب ما يأتي (أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وقد استضعفتهم بالنسبة اليكم، ورأيت في أحوالهم مايطيب قلب الملك (نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام) فلو تأملنا كلمة (استضعفتهم) لرأينا الاعرابي أرادبها (التضعيف) لا (الضعف) أي الزيادة لا الوهن كما لم يرد (بقلب الملك) (فؤاده) وإنما أراد منه قلب حروف جملة (نصحت إلي آخرها) وبقلبها تكون هكذا (كلهم عدو كبير عد فتحصن) ولقد وقع للتميمي الشاعر العربي القديم ماوقع لذلك الاعرابي فكتب إلي قومه ما يأتي

حلوا عن الناقة الحمراء واقتعدوا العود الذي في جنابي ظهره وقع

إن الذئاب قداخضرت براثنها والناس كلهم بكر اذا شبعوا

ومرذات ليلة عسس أحد الولاة فى الدولة الأموية فعثروا فى طريقهم على ثلاثة من الفتيان يجوسون خلال الديار — وكان الوالى قدأمر ألا يخرج أحد من بيته بعد العشاء وكل من خرج يضرب عنقه — فاستوقفوهم وسألوهم عن نسبهم ومن أى البلادهم فقال أولهم وكان ابن (حجام)

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي الرقاب اليـه صاغرة فيأخذ من مالها ومن دمها

وقال الثاني وكان ابن (فوال)

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره فمنهـم قيام حولهـا وقعود

وقال الثالث وكان ابن (حائك)

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لاتنفك رجـلاه عنهمـا إذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

ففهموا أنهـم من أشراف قبائل العرب وأن قتلهم يعرض الحكومة للأخطار واستصحبوهم إلى (الوالى) ليرى رأيه فيهم فلمـا وقف على حقيقتهم أمر باطلاقهم . وكافأهم على حسن بيانهم وهكذا كانت سعة لغتهم . سببا في خلاصهم ونجاتهم

وماإن رأينا ولاسمعنا بأمـة من الامم حرصت على تهـذيب لغتها . والدقة فى وضعها كالامة العربية فاذا كان قدمها هوالذى يغرينا بهدمها فهاهى ذي (الاهرام) لم يقل أحد بهدمها واستبدالها بغيرها ـ على طراز جـديد ـ لأنها قديمـة بل بالعكس نرى الناس يحرصون عليها و يعدونها مفخرة القدماء

وليس كل قديم بمنبوذ يجب تركه والعدول عنه إلى جديد . فدقيق (القمح) لم نسمع بانه وجد طعام أقدم منه . ومع ذلك نري إجماع الخلق على اتخاذه قوتا لهم كما أن القدم لم يحل الشيء عن طبعه (فالسكر) مثلا لومكث آلاف القرون لم ينقلب (مرا) (والحنظل) لو بقى أبد الدهر لم يصر (زبيبا) يوما ما

على أن اللغة غايتهـا التفاهم و إيصال مايريده المتكلم أو الكاتب إلى ذهن السامع أو القاريء وهذه كلها أمور مردها إلى الذوق الانساني ومقتضي الفطرة البشرية . فما ذنب اللغة إذا كانت العلة فى الاحساس والتفكير ؟؟!!

كما وأنه ليست (ألفاظها) بصور لأعيان (الموجودات) في الخارج بل هى علامات لصورة الفكر فى الذهن فانك لو سمعت لفظ (محمد) مثلا أى رأيته مكتوبا على لوحة لاتدرك منه ما تدركه لو قدم مصور (صورته) الذهنية واذن فلاقديم ولاجديد فى اللغة ودعواهم محض هذيان .

ولقد دخلت اللغة العربية في أطوار كثيرة مختلفة الأزمنة والامكنة ومع ذلك فقد سايرت كل فكر . وجارت كل عصر . وخضعت لقوى الابتداع فى الكلام . حسب مايقتضيه المقام . وأيضا لم نسمع بكاتب أو شاعر دعا نفسه ـ أودعاه غيره مجددا وإن توخى فى أسلوبه أوضاعا لم تكن معروفة قبلا . بل كل ماسمعناه أن يقال (الجماعة البديعية) وهم الذين أدخلوا في كتاباتهم محاسين (البديع) كمسلم بن الوليد وأبى تمام وابن المعتز وأضرابهم كما يقال (الجماعة الفاضلية) على الذين ينتهجون نهج (القاضى الفاضل) كسراج الدين بن الوراق وأبي الحسين الجزار ومجير الدين بن تميم وألفافهم

حقيقة إن اللغة العربية قعدت عن مسايرة العلم جنبا لجنب لان أهلها لم ينتبهوا للاختراع ، لكن ذلك لايعيبها إلا عيب والد ترك لابنه ثروة طائلة فلم يحسن استثمارها أو القيام عليها . وماذا على (الطبيب) لوقدم لك (دواء) فلم تستسغ شرابه ؟؟

وبعد فهذه كلمة أتينا فيها على دعوى جمود اللغة العربية وقدمها وسبيلنا إلى بيان بقية البحث كلمات تتلو إن شاء الله محمد الصاوي عمار مدرس بمدرسة مشال الألزامية

كلمة عن لغة اليمنيين

بقلم الأديب على أحمد عيسى

كتب أحد حضرات الكتاب بجزء يونيه سنة ١٩٣١ من مجلة المعرفة كلمة من كتاب تحت الطبع يعده لتقديمه إلى مؤتمر المستشرقين بانجلترا .

ولقد أجهدت نفسى كثيرا فى محاولة الوصول إلي حقيقة الكتابة المدونة على تلك الالواح ممارواه ناقل الكلمات ، وقارنت بينهـا و بين التفسير المفهوم فلم أصل إلى نتيجة . وأكبرظني أن تفسير هذه الكتابات يتعذر على غير أهل اليمن المعاصرين إذ ذاك أو

المتأخرين منهم الواقفين على أصل لهجات بلادهم

أما اللغة التي سمعها الاستاذ بين الركب المتجول الذي مر بقريته منذ سنتين ليؤيد استنتاجه بأن لغة الاحجار المكتشفة باليمن لاتخرج عن ألغاز أوعن لغة الآراميين الدخلاء الذين لم ترسخ قدمهم في العربية . أقول إن هذه اللغة التي سمعها في قريته قد استطعت أن أفهمها فهما جيدا بالرغم من أنها لاتبدو عربية ولا أعجمية وهى فى الحقيقة عربية عامية مستعملة بكيفية مضللة للسامع والقارىء . . أما عن تلاؤم رئيس الجماعة وادعائه بأن تلك اللغة يتوارثها الابناء عن الآباء فذلك أيضا لايخرج عن التضليل والقول الهراء . وإليكم الحل الذى توصلت به لفهم تلك اللغة :

يقول الرجل لابنته (اسملى عناب) هاتان الكلمتان تؤديان معني كلمة واحدة هى (اعملى) فهو لم يحدث شيئا سوى حذف حرف العين وهو الثانى فى الكلمة ووضع بدلا منه حرف سين للتضليل وكان يستطيع أن يقول من باب التضليل أيضا (اشملى) و(ارملى) (اكملى) الخ وأعقب (اسملى) بأى كلمة خطرت له بشرط أن تبدأ بنفس الحرف الثاني المحذوف من الكلمة الاولي وهو العين فقال (عناب) وكان يستطيع أن يقول من باب التضليل أيضـا (عمر) و (عائله) و (عنكبوت) الخ . . . فلفهم (اسملى عناب) يجب إسقاط الكلمة الثانية بعد أخذ أول حرف منها وهو العين ووضعه محل الحرف الثاني الذي جيء به للتضليل بالكلمة الاولي فتكون (اعملى) . .

وعلى هذا النحو نفسر (جهوه قر) في كلام الرجل باسقاط (قر) بعد أخذ القاف أول حرف فى الكلمة الاولى فتصير (قهوة) واذن (صلوه حنا) كلمتان تؤديان معني كلمة واحدة هى (حلوه) .

و إننا نلاحظ كيف يعمد الرجل إلى الخداع فى حديثه مع ابنته ليسد الطريق على أى محاولة لفهم لغته بتصرفه الغريب إذ يستبدل مرة بالحرف الثانى من الكلمة و يدل عليه باول حرف من كلمة تالية كما فى قوله (سان فرفر) و يعني (فان) أو يستبدل ثالث حرف فى الكلمة ويدل عليه بأول حرف فى الكلمة التالية كقوله (الجيه بلبل) و يعني (البيه) أو (واسعتي بالك) و يعنى (وابعتى) وهكذا . . .

فلكشف الحقيقة فقط أبعث إليكم بكلمتى هذه . وتفضلوا بقبول وافر الاجلال

على أحمد عيسى طالب بكلية الآداب

أدباؤنا والتجديد

للأستاذ محمود أبو ريه

أصدرتم مجلة المعرفة الغراء وجعلتم من أغراضها الطيبة النافعة التي ترمى اليها « بعث الفلسفة العربية وبناء الادب العربي » وهذان غرضان ولا ريب نبيلان . لان بلادنا مفتقرة فى نواحيها العلمية ، وبخاصة فى هاتين الناحيتين الى مجلة بل الى مجلات تؤتي الناس من ثمرات العلم الحق ما يزيدهم معرفة وتثقيفا :-

نعم لقد زاد اغتباطي بذلك لاننا قد صرنا الي فوضى قلمية لا نعرض لاسبابها وعللها ، وقد بلغ من هذه الفوضى أن جعلت من البغاث نسورا ، ومن النجوم المنطفئة بدورا . وحسبك انك ترى كل من يستطيع حمل القلم قد نصب من نفسه عالما كبيراً ينفي فى العلم ويثبت لا بعلم ولكن بجهالة ، ويبني في الحقائق ويهدم لا عن بينة وتحقيق ولكن عن ضلال وتلفيق

لقد تجد فى ناحية فلانا وبضاعته من العلم ، إن حققت مزجاة ، وكل همه هو الاغارة على ثمرات علماء الغرب لينتهب منها ما يشاء قد انقلب الى الناس بما اختلس وبدا به بينهم فيلسوفا عالما ، وكاتبا جبارا . وتبصر فى جهة ثانية فلانا آخر رأى نفسه خالياً من العلم فاخذ يبحث عن شيء ينقلب به عالما وكأن العلم دعوى وتلفيق حتى اذا عثر على مذهب من المذاهب التي يقول بها العلماء الغربيون كمذهب النشوء والارتقاء مثلا تعلق به ومالبث أن اعتقده ودافع عنه وألف فيه. ذلك ليجعله سلما يرقي عليه الي مكانة العلماء . وقد غاب عنه أن هذه المنزلة هى منزلة الجهالة ، لأن هذا الامر الذى قد جعله طريقاً يبلغ منه الى حظيرة العلماء انما هو فرض من الفروض العلمية التي تقبل النقض لا حقيقة يجب التسليم بها

هذا فى العلم أما فى الادب فان مصيبتنا فيه أدهى وأمر فقد خرج فينا جماعة نادت على نفسها بانها وحدها من دون الناس هى التي منحت نعمة الاحاطة بالادب العربي وأن هذا الادب قد أصبح خالصاً لها من دون الناس جميعا ، فليس لغيرها أن يقول فيه قولا أو يذكر عنه عبارة، فاستمع الناس اليها ليروا ماعندها ولما طالبوها أن تكشف لهم عن مكنون هذا العلم الذي اختصوا به : قالوا مهلا فنحن أهل جديد وسنجدد لكم في الادب ونريكم ما لم ترون من قبل

ولبث الناس يرتقبون هذا الجديد عشرات من السنين حتى طال عليهم العهد، فلم يجدوا شيئاً جديداً يستمتع به الاديب، ولم يروا طريقاً يعتز به الادب . ولما تبين لهم أن كل ما سمعوا من صيحات انما كان من قبيل الترهات التى لا طائل تحتها ولا خير فيها، استغفروا الله واحتسبوا هذه السنين الطويلة التى ارتقبوها على غير طائل فيما يذهب من العمر عبثاً

وليت هذه الفئة قد وقفت عند هذا العجز الفاضح ولكنها لتزيد من بليتنا فيها قد انقلبت الى قديمنا النافع تضرب فيه بجهلها وراحت الى تراثنا العظيم تهدم منه بحماقتها

ولا يحسبن أستاذ المعرفة أنى مغال فى قولي أومسرف فى عبارتى إذ الأمر بين يديه . وها نحن جميعاً نراهم على طول ما كتبوا وعلى كثرة ماالفوا لم يأتوا بشيء مما كانوا يزعمون ، هؤلاء هم علماؤنا الجبارون ... وأدباؤنا العبقريون .... ومن عجب أنهم لكي لايدعوا صفة من صفات كبار العلماء إلا اغتصبوها لأنفسهم ، قد أبوا جميعا الا أن يتحلوا بتلك (المودة) التى اتخذها علماء القرن الماضى شارة لتثقيفهم وهى (مودة الالحاد) كما قال أستاذنا الجليل السيد مصطفى عبد الرازق . فأنكروا الاديان وجحدوا الشرائع وازدروا الفضائل والآداب وكذلك كانت مصيبتنا فيهم وداهيتنا بهم كبيرة . نقص فى العـلم . وجهل بالأدب . وضلال فى العقائد . وحرب على الفضائل والاخـلاق . وسخف فى الافكار والآراء .

هذه وا أسفاه حقيقة حالنا فنحن من أجل ذلك فى حاجة شديدة إلى صحف علمية نافعة يكون من أول عنايتها أن تنصب من نفسها ميزانا يقدر كل عالم وكاتب ، فمن كان وافياً فليتقدم لميدان العمل لينفع النـاس بعلمه وفضله ، ومن كان ناقصا فليتأخر وليريح الناس من جهله وحماقته. ولا يكون لها إلا غاية واحدة هى أن تجعل قيمة كل امرئ ما يحسن

وإذا كانت بلادنا كما أسلفنا فى حاجة إلى مثل هذه المجلة فقد اغتبطنا أيما اغتباط بظهور مجلتكم الفيحاء راجين أن تحقق ما نتمناه منها من إهداء الناس الي ما يصبون إليه من العلم الصحيح ، والادب الحق، وأن تكون (المعرفة) معياراً يعرف به أقدار الرجال ليعلم به المحسن من المسيء

محمود أبو ريه

الأعجام والشكل

فى الكتابة الخطية العربية

للأستاذ حسن عبد الجواد المحامى

الاعجام هو النقط والشكل معروف . والفقهاء على أن الأثنين من وضع العرب وكلاهما على جانب كبير من الأهمية ، ووليد حاجة شديدة إليه .

حدث أن عبارات خالية من النقط قرئت على عكس ماأراد كاتبها ، فوقع الضرر ، فهب جماعة من المفكرين إلى ايجاد الاعجام لتفادى الوقوع فى الضرر مرة أخري . وإليك مثل مماحدث نسوقه كدليل على أهمية الاعجام

كتب سليمان بن عبدالملك إلى عامله يقول له (احص المخنثين من قبلك) ولما كانت العبارة خالية من النقط قرأها العامل (اخص المخنثين .) واضعا الخاء محل الحاء وقام يخصي هؤلاء المساكين حتي سمى هذا العهد بعهد الختان الأكبر (١) وذلك لانهم ماتوا جميعا عدا رجلين (٢)

ولم يكن الاعجام موجودا فى أول عهد وجدت فيه الحروف (على خلاف سيأتى) ولم يكن - بعد وجوده - مستخدما إلا حيث تمس الحاجة ، ثم صار بعد ذلك عاما ، وفى ذلك تسهيل للقراء ، وأمن من اللبس ، وهو أولي من صرف الوقت في توجيه الكلمات الخالية من الاعجام توجيهات مختلفة حتى تلائم المقصود

والشكل لا يقل أهمية عن الاعجام ، ولم يلجأ اليه الكتاب الالمساس الحاجة أيضا ويسوقون فى ذلك الحادثة المعروفة . وهى أن ابنة أبى الأسود الدؤلى نظرت متعجبة الى السماء وقالت ماأحسن السماء (بضم النون) فصححها لها أبوها قائلا ماأحسن السماء (بفتح النون) وكان هذا أول باعث على وضع النحو . واسترشد أبو الأسود في وضعه بما كان عليه الامام على كرم الله وجهه من الحكمة والذكاء .

إلا أن أبا الأسود الدؤلى كان ضنينا بما علمه الامام على كرم الله وجهه . خصوصا بعد عزله من ولاية البصرة ، فدبر بعضهم حيلة دفعت بأبى الاسود الي اخراج ماتعلمه ، فأوحوا

---

(١) راجع أدب الكتاب لابن يحي الصولي ص ٥٩ (٢) قارن صبح الاعشى ص ١٥٤ اذ يقول أن جعفرا المتوكل هو الذى كتب الى عامله بذلك .. الخ الخ

الى قارىءأن يتلو قوله تعالى (إن الله برىء من المشركين ورسوله) وأن يكسر اللام فاذا بأبى الاسود يرجع عما كان عليه ، وطلب ثلاثين كاتبا اختارمنهم عبدالقيس ، وصار يقرأ له القرآن ، وعلمه كيف يضع الشكل بمداد مخالف زيادة في الايضاح وتمييزاً للشكل عن النقط ، وذلك لان الشكل فى هذا العهد كان بطريق النقط ، لابالطريقة التى نألفها اليوم (حسبما سنفصله بعد) . فكانت الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحته والضمة عن يساره والتنوين نقطتين . (١)

وقد سمى الشكل شكلا لأنه يدل على شكل الحروف، ومنعا لأن تتشكل بأى شكل وقصر لها على شكل واحد ، وقال بعضهم لانه يقيد الحروف ويضعها فى مأمن من عثرة اللسان عند النطق بها . شأن الشكال الذى يقيد الدابة فلا تهرب وقال أبو تمام فى هذا : ـ

ترى الأمر معجوما إذا كان معجما لديه ومشكولا إذا كان مشكولا

وقد سمى الاعجام اعجاما لانه مذلل للأعاجم الصعوبة التي يلاقونها عند قراءة الكتابة العربية، والتمييز بين حروفها، وذلك على أثر اختلاطهم بالعرب نتيجة فتوحاتهم العظيمة

ويقول صاحب كتاب انتشار الخط العربي ص ٢٩ (سمى الاعجام اعجاما لان الاعجام فى المعنى الاصلى هو التكلم على طريقة الاعاجم، كما أن الاعراب هو التكلم علي طريقة العرب) وهو ليس سببا لاختيار اللفظ كما هو ظاهر .

وفى مسيس الحاجة الي الاعجام يقول محمد بن عمر المدائنى (ينبغى للكاتب أن يعجم كتابه ، و يبين اعرابه ، فانه متى أعراه عن الضبط وأخلاه عن الشكل والنقط ، كثر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف)

وقال ابن عباس رضى الله عنه (لكل شيء نور ونور الكتاب العجم)

قال أبو مالك الحضرمى : أي قلم لم تعجم فصوله استعجم محصوله : وقال بعضهم (الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة) (٢) :

---

(١) تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية ج ٢ ص ٨٥

(٢) راجع فى ذلك صبح الاعشى ص ١٥٣ ، ١٦١ اذ جمع أقوال الادباء فى الحاجة الى النقط وفى الحث على الشكل

وفى الحث علي الشكل يقول هشام بن عبد الملك «اشكلوا قرائن الآداب لئلا تند عن الصواب »

و يقول شاعر : ـ

وكأن أحرف خطه شجر والشكل فى أغصانه ثمر

وان كان الشكل والنقط ضروريين الى هذا الحد . الا أن جماعة من الكتاب رغبوا عنهما إلا لأمن اللبس، و يقولون فى سبب ذلك (لئلا يظلم الخط من غير فائدة) (١)

و يقول بعضهم بتركها حتى فى حالات اللبس اذا كانت الكتابة من صغير الى كبير تعظيما لشأن هذا وتنزيها لمداركه ، وتظهر تلك الروح فى قول المدائنى (كثرة النقط فى الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه) وقال عبدالله بن طاهر عن خط عرض عليه (ماأحسنه لوأنه ـ يريد كاتبه ـ اكثر شونزه (٢)

أما الذين كرهوا الشكل فهم أقلية ضئيلة شأن الذين كرهو النقط ومنهم سعيد بن حميد اذ يقول (لأن يشكل الحرف على القاريء أحب الى من أن يعاب الكاتب بالشكل) ونظر محمد بن عباد الى أبى عبيد وهو يقيد البسملة فقال: لو عرفته ماشكلته . وقد جرد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ المصحف حين جمعوا القرآن من النقط والشكل وهو أجدر بهما فلو كان مطلوبا لما جردوه منه (٣)

وغير هذا الكاتب فئة من الكتاب ذكرهم القلقشندى فى كتابه . ونحن أمام فتور الاسباب التى كرهوا من أجلها الشكل أو النقط ووهن حجتهم فيما أدلوا به لانجاريهم في رأيهم. ونرى أن النقط والشكل ضروريان ، لانه أولى من ضياع الوقت فى توجيه القراءة وجهتها الصحيحة من طريق تقليب الحرف على أوجه مختلفة حتى يتلاءم ويتمشى مع المعنى المطلوب من طريق أسهل وأبسط ، وهو الشكل والنقط دون إعمال فى الفكر واجهاد فى العقل ، ولان المعقول عادة الوصول الي النتائج السليمة من أسهل الطرق وأبسطها لامن أكثرها تعقيدا وأقلها انتاجا . وحسبنا مانراه من اعتبار اهمال النقط خطأ في الكتابة

---

(١) ص ١٥٤ صبح الاعشى

(٢) وهذا مافسره حفنى بك فى كتابه .. بأن الشونيز هى الحبة السوداء ـ و يقول ان معني هذا القول أن عبدالله بن طاهر يصور النقط بالحبة السوداء وقد نثرت فوق الكتابة .. ص ٨٧ ..

(٣) راجع صبح الاعشى ص ٦١.

أما عن الذين وضعوا الشكل والنقط فقد سبق تعرضنا إلي هذا ، وقلنا ان أبا الاسود الدؤلى هو الذى وضع الشكل وذكرنا سبب ذلك : ويقول أستاذنا المرحوم حفنى بك ناصف أنه اشتهر بعد أبى الاسود ممن أخذ عنه عنبسة الفيل وميمون والاعرج ويحي ابن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الله بن اسحق وعطاء بن أبى الاسود .

ويقول بعض الكتاب إن أبا الاسود الدؤلى هو أيضاً أول من وضع النقط فيكون بذلك أبو الأسود أول من وضع النقط وأول من وضع الشكل .

وذهب القلقشندى مذهبا معقولا وهو احتمال أن يكون النقط الذي قالوا عنه أنه من وضع أبى الاسود الدؤلى هو الشكل (١) . وهو وجيه ، لأن الشكل بدأ بطريق النقط .

ولاننسى أننا فى مقال سابق ونحن نتكلم عن الآراء المختلفة فى أول من وضع الحروف، قلنا أن عامرا وضع الاعجام مشتركا مع مرامر وأسلم ، فى وضع الحروف العربية .

ويقول المرحوم حفني بك ناصف ، إن الاعجام ليس من عمل كتاب الاسلام فى عهد عبد الملك بن مروان كما يذهب الكتاب بل هو سابق على الاسلام ، واستدل بالرأى الذي قلناه هنا من أن عامرا أول من وضع الاعجام . وبأن المعقول أن ينشأ الاعجام مع الحروف — وهى ناشئة قبل الاسلام — منعا من اللبس لاتحاد صور كثير من الحروف ولان التاريخ أثبت وجود كتابات منقوطة قبل الاسلام (٢)

وليس معنى هـذا الاجماع على أن أبا الاسود هو الذى وضع الشكل وأن الخلاف قائم على النقط بل ليقوم الخلاف أيضا على أول من وضع الشكل وفي ذلك ثلاثة آراء (أولها) أن أبا الاسود هو الذى وضعه (وثانيها) أنه نصر بن عاصم الليثى (وثالثها) أنه يحي بن يعمر .

ونحن على قول القلقشندي فى أن أبا الأسود – وعلى قول أكثر العلماء – هو الذي وضع الشكل لثبات ذلك بأدلة ظاهرة وحوادث كثيرة .

وسبق فصلنا أن الشكل الذى جاء به أبو الأسود الدؤلى كان بوضع نقطة فوق الحرف أو تحته أو عن يساره لتمثيل الفتحة والكسرة والضمة على التوالي أو بوضع نقطتين لتمثيل التنوين .

والنقط توضع اما مستديرة ، أو مربعة ، والمستديرة مسدودة وخالية

ولا داعى هنا لبيان الحروف المنقوطة أو غير المنقوطة ، لأن ذلك معروف طبعا . غير أنه من الضرورى الاشارة إلى مانبه إليه الكتاب من ضرورة وضع النقطتين — إن

---

(١) ص ١٥٥ (٢) راجع في ذلك تفصيلا هاما بكتابه ص ٨٨ وما بعدها

كانتا على حرف واحد يجاوره آخر منقوط — واحدة فوق الأخرى . وذلك منعا للبس من وضع نقط الحروف فى الكلمة الواحدة على سطر واحد (١)

وصور الشكل سبع (أولها) السكون ورسمه المتأخرون دائرة ويسمى الجزم أيضا (وثانيها) الفتح واسمه أيضا نصبة (وثالثها) الضم (ورابعها) الكسر واسمه أيضا خفضة (وخامسها) التشديد وهو رأس شين (٢) (وسادسها) الهمزة وهى رأس عين (وسابعها) علامة الصلة فى ألفات الوصل ورسمها المتأخرون صاداً لطيفة (على حد تعبير — ضوء الصبح — الذى نقلها عنه القلقشندى لعدم ظهورها فى الأصل الذى أخذ منه بيانه)

ولا يفوتنا أن نذكر أن بين الصور القديمة للشكل والصور التي نراها اليوم صورا أخرى غير هذه، وتلك أتى عليها المرحوم حفنى بك ناصف فى كتابه (٣) وهذا ما تقتضيه سنة التكوين والتدرج الى ماهو أرقي شيئا فشيئا

ويلاحظ أن الشكل وقت أن بدأ بوضع نقط تحت الحرف أو فوقه الخ كان مدعاة للبس مما حدا بالكتاب الى استعمال مداد يخالف فى اللون المداد المكتوبة به الحروف حتى ان أهل الأندلس كانوا يستعملون أربعة ألوان لكتابة المصاحف (الاسود للحروف والاحمر للشكل بالنقط — والاصفر للهمزات — والاخضر لالفات الوصل) (٤).

ولكن بعد تمييز الشكل عن النقط بالعلامات السابق ذكرها لم يعد حاجة لمضيعة الوقت فى استعمال أكثر من مداد واحد لعدم وجود ماندعو الى لبس أو ابهام ؟

حسن عبد الجواد المحامى

---

(١) صبح الأعشى ص ١٥٦

(٢) ويقول القلقشندى لعلها كذلك لان الشين أول حرف من حروف شديد (٣) راجع ص ٨٦ ج ٢ فى تاريخ الادب وص ٩٦ فى الشكل بطريق الحروف الصغيرة . (٤) راجع حياة اللغة العربية ص ٨٧

اللقيط

في ساعة نزق وطيش قضى النـذل وطره من فاجرة باعت العرض ومزقت الشرف وقدمت له أعز جوهرة تحتفظ بها الفتاة

مرت الأيام سراعا وتحرك الجنين في بطنها وعـلم أهلها بمـا فعلت وشعرت هي بعظم فضيحتها و وجد الأهل مالحقهم من العار فكيف يمحونه وهذا فعل مشين بالعائلة

وأخيراً طردت العابثة بالعرض المستهزئة بالشرف من بين ذويهـا وخرجت تتلمس لها طريقا فى ظلام الليل بين المنعطفات والأزقة حتى أضناها المسير، فجلست تستجدى عطاء من يجود عليها بفلس تسد به رمقها . وكانت تعيش فى الطرقات هائمة على وجهها طول الليل حتى إذاما استأنست غفلة الحراس اندست فى فجوة منزل خرب أوتوارت خلف باب بيت عتيق

وفى ليلة سوداء غابرة انزوت إلي عرض حائط متهدم أسندت رأسها إلى جداره و ركنت إلى الهدوء والسكينة تبغى الراحة . واستسلمت لخيال عميق وتمثلت أمامها أشباح الوحوش البشرية تحوطها من كل جانب كمن تريد خنقها وتناوبتها الهواجس والأوهام وصور لها الخيال أنها تكاد تسمع حنق البشر عليها فبكت واذرفت الدمع وفاقت من أحلامها على صياح طفل بجانبها وهمت بقتله فعصتها يداها وغلبتها روح البنوة فقطعت قطعة من ثيابها دثرت بها علقم الحب الفاسد ابن السفاح ووضعته بجانب الحائط يبكي و يصيح فلم تشفق على بكائه إذ انقلبت رحمـة الأمومة هلا كاًمريعاً

عثروا عليه فى الطريق يبكى يشكو لربه ظلم من ألقاه وتركه ، وانهالت عليه اللعنات ورموه بالسباب لالذنب أو جريرة لم يرتكبها سوى أبيه سبب شقائه وتعاسته

كانت ساعة استهتار تلك التى أطفأ فيها الوغد شهوته والآن ساعة ندم ولات حين مندم ، فقـد سبق السيف العذل ، وأصبحت تلك الأم الرجسة فى مباءة الرقيق وهجرها عشيقها النذل سالب عرضها ولم يعرفها الآن إلا أنها أصبحت باغية .

ارتكب هـذا الوغد جريمة لا يمكن أن تغتفر مدي الدهر و إن نساها الخلق فالله ان ينساها وسيكون لها عذاباً سعيراً يوم يحاسبا على مااقترفت يداها في حق روح مقدس لم تجن اثما — مسكين ! مسكين انت ياابن الطريق

كتب عليك الشقاء وأنت فى بطن أمك التى سجل لها الدهر فضيحتها على جبينها ، ولا يمكن أن يمحى هذا العار حتي ولو أصبحت ملا كا رحيما فالعارلن ينساك

محمد وصفى أحمد

الثورة

للأستاذ مأمون محمد منصور

من غصون الثقافة المستعبدة ، تتناثر زهور الفلسفة . ويسرى أريجها الخلاب من بين الشفاه ، أومن لعاب القلم . وسط ضجيج الحياة ومظاهر الجدل . فاذا قلوب بنشوتها تنبض، وأفئدة لأمانيها تخفق ، وآمال بسحرها تتدفق . وبعد قليل من خطوات الزمن ، بين طيف العزيمة وصراع الملل ، تذبل الزهرة ويضمحل الأمل . فاذا الفلسفة المتألقة فى سماء الثقافة قد هوت الى قاع سحيق وجرت عليها دثار النسيان . فلايصل اليها شعاع العين ، ولا تمتد اليها مدارك البصيرة . على حافة الهاوية الغائرة فى جزيرة الانسان . حيث العزلة الموحشة إلا من أنين الوجد ، ينشد الشرق أناشيد التوبة ، ويذرف دموع اللوعة والندم .

مأساة أليمة ، تصورها اليقظة الصاغية الى همسات الوجود بألف أذن ، حروفا من نار العظة ، ولكن تحت السحاب الكثيف والغمام السارى فى نشوة واضطراب لمداعبة الشهب الآدمية . وتحية العقول الجبارة .

وهنالك على أرائك الوحدة المحدقة باللانهاية . وبين أحضان الطبيعة الصاغية الى أعماق النفس ، وإلهامات الضمير . ومن أسرار الثقافة اللا مكبلة ، تتفتح أكمام الزهرة ، وتنثر دقائق الخيال الحى . فتهتك أسرارها الألباب المسلحة بالعزم الممنطقة بالثبات . وما الثبات والعزم إلا ناحية من مدلولات الروح المتمردة على نفوذ إرادة الجسد . والتى تستقر عادة فى مهد القلوب الكبيرة ، وتهيمن على سماء العظمة والمجد . أجل ، تهتك أسرارها بين عوامل الرغبة الجامحة ، ووثبات العزيمة . فتنطلق الثورة المقدسة . والثورة آية الحياة .

ناحيتان من مصدر واحد . تنتهى أولاهما بالركود فى يم السكينة الخرساء ، بينما تنطلق الثانية فى ثورتها الدائمة الى نواحى المجد تفتش عن منافذه المختفية خلف كنه الكائنات المصدفة فتلجها ظافرة ، هنيئة بينابيعها العذبة ، ورحيق أسرارها الشهى .

فهنا شبح الجمود باسطا ذراعيه . وهنالك روح الثورة يرغى ويزبد .

هنا الثقافة المستعبدة الأسيرة . وهنالك المعرفة الحرة القديرة .

هنا الأمل المبعثر الراسب . وهنالك الأمل المتحفز الواثب .

هنا جدال وهراء وفلسفات . وهنالك اكتشافات واختراعات .

هنا نوم وليل عميق طويل . وهنالك يقظة ثائرة لمجد أثيل .

هنا استعمار يهدم ويدمر . وهنالك مؤتمرون ومؤامرات تدبر .

هنا حرية تستغيث من بنيها . وهنالك حرية تعتز بذويها .

هنا هنا الشرق المستكين المهين . وهنالك الغرب القوى المفكر الرزين .

من تحت سماء نهر الكنج شرقا الى الفرات، وشبه الجزيرة حول خط الاستواء ، جنوبه وشماله الى الجزيرة الكبرى المنعزلة بقنال العبودية بنيلها الباكى الحزين ، وشعوبها الأسيرة المنتهية غربا ببحر الظلمات . من أعماق قلوب تلك الشعوب يرتفع أنين الآلام وينخفض . وتسمو الآمال حينا فتحيا وتنقرض . ولكن فيها عاطفة قوية دائبة ، تتوسل اليك أيتها الثورة بلغة الضمائر . تناديك فى كل يوم ألف مرة ، وتترقب روحك الفتية الجبارة فى كل لحظة .

تعالى تعالى . أيتها الثورة . ولا تكثرى فى بوادر زحفك الرهيب من تأنيب الثقافة فى الشرق . بل ترفقى بغصونها السقيمة من فرط وجدك . راوديها ، وسائليها فى هوادة عن أسباب نأيك وصدك .

سلى طبيب الروح : بم يبرر سكوتك الذى تجاوز صمت القبور . والفضيلة تذوى فى لحد نبشه ذاك الذى يحمل فى عنقه أمانة الشعب . ويسأل عن كتمان آدابها وأسرارها أمام الله فى صدره . وأنت النابش والمسئول. فبنومك اللذيذ ، وبعلمك الجم العزيز ، لأى جيل تجمع ثقافة الدين والدنيا ؟

سلى طبيب النفس : الام تهمل تلقين طلابك آداب الشرائع . وهى أساس التربيــة . وتدعوهم للفضيلة وأنت عبد لنفسك ؟

سلى طبيب الجسد : بربك الى متى تصف الدواء لمرضاك . وعزيز عليك أن تحذرهم من السبب؟

ثم سلى الزعماء والقواد :

هل أمنتم جانب أبنائكم قبل مناضلة خصومكم . وهلا أحاطت ثقافتكم الحرة بأساليب سوس العائلة الفتية قبل مجابهة تدابير الكهولة ؟

أيتها الثورة : سليهم جميعا برفق . لاترهقيهم . وأفيضى عليهم من روحك ، القوى المتمرد على عقائد الماضى الرثة المهلهلة ، الهازىء باليأس والقنوط الباسم للمستقبل المحتجب خلف السحب . وأمطريهم غيث اليقظة ليغسل النفوس من أدران الموت الشبيه بالحياة ؟

الطرائف فى المتاحف

— ١ —

المتحف القبطى

﴿ وأثره في الفنون والصناعات ﴾

للاستاذ صبرى فريد

الفنون والصناعات القبطية :

إن المتتبع لسير الفنون والصناعات المصرية ـ من بدء العهد الفرعونى حتى العصر العربى ليرى أن الفن انتقل وتدرج من طيبة فى صعيد مصر الى أثينا فى بلاد اليونان ، ومنها الى روما فى ايطاليا. ثم تحول وحل بالقسطنطينية ، ثم رجع برهانه وعظمته لمبدأه الأصلى فى وادى النيل . وفى هذه الرحلات والتجولات ثم التكيف مع مقتضيات سيادة تلك الدول التى بسطت نفوذها على هاتيك البلدان ، تقاربت ألوان الفن بعضها من بعض. فأخذ الفن اليونانى من الفن الفرعونى القديم والرومانى من اليونانى . وعند مابشرت الديار المصرية على يد الرسول القديس مرقس، تحتم وجود فن جديد تبعاً لتطور الديانة المصرية من وثنية الى مسيحية وهكذا كان للديانات والاعتقادات تأثير قوى فى تغير وتطور الفنون ، إلا أن هذا التغير لم يحدث فجأة أو دفعة واحدة . بل أخذ يتسرب تدريجياً من الاسكندرية الى أقاصى الصعيد تبعاً لانتشار الديانة الجديدة . فبينما كان أهل الاسكندرية يعتنقون الديانة المسيحية كان أقاربهم فى طيبة (الأقصر) يقيمون التماثيل لآلهتهم الفرعونيـة الوثنية مثل (ايزيس وازوريس وحوريس) وغيرهم .

وكان يظن فى أول الأمر أنه من المتعذر أو المستحيل وجود فن قبطى مصرى مستقل إلا أن هذا الزعم بدده المسيو ماسيبرد — مدير عام مصلحة الآثار المصرية سابقاً — بما أوجده من أدلة كافية ، وبراهين ساطعة ، على ذاتية الفن القبطى بين الفنون الأخرى .

ولذلك أنشأ خصيصاً قاعتين فى المتحف المصرى بقصر النيل ، ليعرض فيهما ما أمكنه العثور عليه من الآثار القبطية المبعثره فى شتى الكنائس والمقابر والأديرة المصرية

ولم ينقض زمن الا وشعر الأقباط بضرورة ايجاد متحف يجمع ما أمكن من العاديات القبطية الى تكون نموذجاً وعنواناً لهذا الفن الجميل

ولئن حصرنا كلمتنا حول الفن إلا أنه لنا الأمل بأن تساعدنا الفرص للبحث الوافى عن كيفية ايجاد المتحف القبطى، والمساعى الكريمة التى بذلها نخبة من كبار الأدباء والوجهاء والعظماء المصريين، وفى طليعتهم مرقص سميكه باشا — الذى يحرز القدح المعلى أيضا فى حفظ الكنائس القديمة الأثرية من الخراب والهدم، وجمع عادياتها لتكوين مجموعة صالحة كانت عماد المتحف الحاضر .

ومن أولى واجباتى الأدبية هى الشكر لحضرة صديقى الشاب الأثرى الضليع (الوديع) حنا الذى كان له الهمة المذكورة فى ترجمة ما نقلناه من النصوص والأدلة على مواضع البحث والتحقيق .

نعود الآن الى الفن فنقول . : ليس الفن القبطى الا وليد الفن الفرعونى القديم الذى تكيف حسب معتقدات الديانة المسيحية الجديدة، يدلنا على ذلك الأثر الواضح الذى نراه على تمشى الروح المصرية الفرعونية مع الروح القبطية المسيحية . فالزائر الى المتحف يرى مثلا فى قاعة الأحجار لوحاً من الحجر الجيرى وعليه السيد والعذراء (مريم) تحمل الطفل (السيد المسيح) بنفس الشكل والكيفية التى نراها على الألواح الفرعونية القديمة، التى تمثل الآلاهة ايزيس تحمل ابنها حوريس . وكذلك نرى فى قاعة الأقمشة قطعة من النسيج وهى مستطيلة الشكل عليها رسم مدخل المعبد وعلامة (العنخ) اى مفتاح النيل ورمز الحياة عند الفراعنة وبداخله الحرفين الأولين (ك . ر) من كلمة (كريستوس) اليونانية التى تفيد معنى (المسيح).

وقد ظهر على الفن القبطى فى الثلاثة قرون الأولى للمسيح ، صحة التشابه بينه وبين الفن البيزنطى، إلا أن المدقق يعرف أن ذلك راجع الى تأثير الكنيسة المسيحية العامة على الكنيسة القبطية قبل انفصالها عنها .

وبعد أن افترقت الكنيسة القبطية عن الكنيسة العامة أخذ الفن القبطى يتحول من الظاهرة البيزنطية الى أصله الفرعونى القديم . وطالما نراه اليوم ماثلا أمامنا فى الأديرة والكنائس القديمة من أخشاب منقوشة وصور بديعة، يعيدان مظاهر الفن بأكلها فى جميع تطوراته . ولا يغب عن أذهاننا أن الفن القبطى نشأ أولا فى الأديرة القديمة ، حيث كان

الرهبان يشتغلون بمختلف الصناعات ، فهم نجارون مهرة ، وناسخو الكتب ، وصانعو الجلود ، والنساجون والمصورون . . .

وكانت تعتبر هذه الأديره كمدارس للمساكين فى القرى والبيئة المجاورة لذلك الدير .

المتحف : أما وقد انتهينا من كلمتنا الفنية ، فتعال بنا نلج المتحف لنتبين أهم كنوزه وأبدع آثاره مبتدئين من المكتبة التى هى فى مدخل المتحف .

المكتبة : تأسست المكتبة بناء على رغبة جلالة الملك فؤاد . عند زيارته المتحف سنة ٩٢٠ م وقد تبرع جلالته بخمسمائة جنيه . كانت نواة أولية أضيف لها مخطوطات الكنيسة المعلقة ومكتبة المرحوم ميخائيل بك شاروبيم التى توسط فى نقلها صاحب الهمة الشماء الأستاذ توفيق اسكاروس . وتشتمل المكتبة على نوعين من المؤلفات أولهما الكتب المخطوطة ، وثانيهما الكتب المطبوعة ، كلاهما نادر ينم عن مصر فى العصر المسيحى .

وقد بدأ الأقباط بالكتابة على الورق البردى ثم الرق (جلود الغزلان) ثم ورق الكتان العادى ، ثم تدرجوا لاستعمال المواد المستعملة اليوم ، وكانوا يكتبون بقلم الغاب ويركبون الحبر من أنواع من النباتات ، كالعفص ممزوجاً بالصمغ العربى والغاز القبرصى . وأما التلوين فقد استعملوا له الزرنيخ وغيره . وكانوا إذا أرادوا تسطير الورق عمدوا الى مسطرة خاصة ، مكونة من لوح من ورق الكرتون ، وعليه خيوط مشدودة ، فيصنعون الورق المراد تسطيره ، تحت هذه الآلة ، ثم يضغط عليها بسبابته على موازاة الخطوط ليظهر أثرها .

وكان الناسخ يختم كتابه — فى معظم الأحيان — بوضع تاريخ إتمام نسخه واسم المهتم به الذى صرف عليه من ماله ، ويضيف الى ذلك لعنته على كل من يتجاسر على نقل هذه المخطوطات من وقفيتها بالبيع أو الهبة .

وتقسم المخطوطات بحسب اللغة المكتوبة بها الى ثلاثة أقسام رئيسية :

(١) كتب قبطية محضة ، وهى قليلة تختص بالصلاة الكنيسية .

(٢) كتب قبطية عربية وهى التى بدأت عند اضمحلال اللغة القبطية وحلول العربية مكانها رسمياً .

(٣) كتب عربية صرفة ومن أغرب ما يرى أن الأقباط عند بدئهم بتعلم اللغة

العربية ، كتبوها بحروف قبطية ، ليسهل عليهم النطق بها ، ومن ذلك مخطوط عثر عليه بأحد أديرة وادى النطرون ، نشره الأستاذ جورجى بك صبحى وهو محفوظ بالمكتبة .

أما المطبوعات : فهى الكتب التى طبعت باللغة القبطية وباللغات الأخرى. ومن الجدير بالذكر أن أحد هذه الكتب مطبوع باللغة الحبشية والانكليزية وهو منقول عن أوراق مخطوطة حبشية ، ترجع للقرن الخامس عشر ، كانت فى حيازة امبراطور اثيوبيا (ثيودوروس) والذى يستلفت بها النظر جمال الصور المزينة بالألوان الزاهية ، وتمثل تاريخ حياة القديسين الأحباش ، والصور مرسومة على الخط الحبشى القديم برءوس مستديرة ، وعيون جاحظة ، وشفاه غليظة ، ومعالم حبشية محضة لم يستثن منها رسم السيد المسيح وأمه العذراء .

وأنفس ما تحتوى عليه المكتبة من الكتب هو : كتاب البسخة (صلاة الجمعة الحزينة وأسبوع الآلام) المذهب ببعض الصفحات وفيه رسومات بديعة هندسية مكتوبة باللغة العربية والقبطية ، وهو من الورق ، ويرجع تاريخه الى سنة ١٣٤٢ للشهداء . ثم كتاب الأناجيل الأربعة ، وبعض أوراقه مصفحة بالذهب ، والألوان البديعة ، مع جمال النقوش والرسوم ، وهو من الورق ، يرجع تاريخه الى ستمائة سنة وعليه كتابات كوفية نصها :

« الأنجيل الطاهر والمصباح الزاهر ، ينبوع الحياة وسفينة النجاة . . . » وكتاب (قطمارس) مخطوط قبطى ، أصله فى الكنيسة المعلقة ، يرجع تاريخه الى القرن العاشر ، ويصح أن يكون نموذجا للخط القبطى ، ويكاد الرائى اليه يحسبه طبعاً لدقة خطه ، وتناسب حروفه .

ودولاب مخطوطات بعضها يجمع بين اللهجتين فى اللغة القبطية (البحيرية والصعيدية) .

ثم سجل انعامات للرهبان ، من قبل أحد خلفاء الدولة الفاطمية تاريخه سنة ٤١٥ هـ

وبالمكتبة أيضاً مجموعة من الفخار يرى عليها نصوص كتابة قبطية تتضمن إيصالات واخطارات بتسليم مقادير من الغلال ، وبينها قطعة نفيسة عليها خطاب من أحد الرهبان لرئيسه يطلب منه ارسال بعض الأشياء

ثم بالمكتبة مجموعة من رقوق الغزال ، يرجع تاريخها الى ما بين القرنين العاشر والثانى عشر الميلادى ، وكلها مكتوبة باللغة القبطية ، تتضمن بعض أجزاء الكتاب المقدس

القاعات : فاذا انتهينا من المكتبة دخلنا قاعة الأحجار وهى على نوعين :

١ — أحجار مزخرفة ٢ — شواهد قبور

فالأحجار المزخرفة ، عبارة عن بقايا المبانى القبطية القديمة التى عثر على معظمها بجهة سقارة والأشمونين والفسطاط . أغلب هذه الأحجار جيرية ، منقوشة نقشاً بارزاً يمثل أوراق الكرم والغار شأن الفن البيزنطى . ثم التيجان العربية والكورنتيشية وقد عثر على معظمها فى الفسطاط .

أهم هذه الأحجار (حنايا أقواس) افريز لمداخل أبنية قبطية ، عليها زخارف بنائية وهندسية بديعة ، يرجع عهدها الى القرن السادس والسابع الميلادى ، على بعضها صور الحيوانات ، منها ماهو للزينة كالأسد والغزال والأرنب ، مما يدل على تأثير الفن الساسانى بالفن المصرى القديم ، ومنها ما كان مرسوماً برسوم ذات صبغة دينية ورمز مسيحى كالسمكة والحمامة ، فالأولى رمز السيد المسيح ، لأن اسمها باللغة اليونانية مكوناً من خمسة حروف هى (Ixote) تقابل أوائل خمس كلمات معناها (يسوع المسيح ابن الله المخلص) والحمامة رمز (روح القدس) . والعذراء .

وأما الشواهد فهى عبارة عن ألواح أغلبها من حجر الجير ، وأقلها من الرخام عليها نصوص جنائزية ، تشمل أدعية بطلب الرحمة ، على أنفس أولئك الأموات مع ذكر أسمائهم وصناعاتهم والجهات والأديرة التى عاشوا بها مع تاريخ وفاتهم . وترجع أهمية هذه الشواهد الى سببين رئيسيين :

أولهما : أنها ترشدنا لشدة علاقة الفن القبطى مع أصله الفن الفرعونى ، فالاشكال والصور المرسومة على هذه الشواهد بجانب النصوص ، ليست الا فرعونية ، فنجد مثلا على أحدها مدخل يعلوه طائر ، أوقرص الشمس المجنح أو العنخ (مفتاح النيل — رمز الحياة) وبجانب ذلك صلوات قبطية .

ثانيهما : أنها تعرفنا أسماء الأعلام القبطية ، وأسماء المدن والقرى الرئيسية فى العصر المسيحى ، والتى لازالت باقيـة حتى اليوم مثل (اسوان = سوون ، الفيوم — ايفيوم ، اسيوط = سيوط ، أبو تيج =أبو ثيك) وكان فى معظم الأحيان يرسم على الحجر شكل المتوفى ، وهوقائم للصلاة ، رافعاً يديه الى أعلى . ثم يبتدأ النص على الشواهد بكلمة «الله واحد» وقد وجد على شاهد نص أدعية قبطية بشكل رثاء ، هو ذات المعنى للرثاء الذى كان يستعمل

فى عهد الفراعنة وعلى بعض الشواهد حكم وأمثال ،ومن أهم الأحجار التاريخية لوح عليه صورة (مارى جرجس) داخل قرص الشمس المجنح ، وبجانبيه ثعبانان على الخط الفرعونى

قاعة الأخشاب :

وهى على ثلاثة أنواع : أخشاب محفورة حفراً غائراً أوبارزاً على الخشب

٢ — أخشاب مطعمة بالسن والصدف والأبنوس ٣ — أخشاب مخروطة . ففى القاعات الأولى مجموعة من مصاريع الأبواب الخشبية ، وهى على نوعين الأول يشمل أبواب المنازل من الداخل ، وواجهاتها مكونة من حشوات مجمعة مع بعضها بدون مسامير أوخلافه ، وهى بهيئة صلبان ، وأصل هذه القاعة ، هو الاستفادة من القطع الخشبية الصغيرة . والنوع الثانى هو أبواب منافذ الطرق والأديرة مصفحة واجهاته بالحديد والمسامير الضخمة ، وأهمها باب كبير الحجم جىء به من دير أبى سيفين بمصر القديمة ، والأخشاب المخروطة هى قطع متريات عثر عليها بالبطريركية القديمة بحارة الروم ، وعليها نصوص ، ورسم قلل وأوانى المياه والصلبان.

أما الحفر البارز فيشمل مصاريع الأبواب ، وحشوات عليها صور القديس . ومناظر دينية أخرى ، أهمها لوح مستطيل عليه صورة دخول السيد المسيح الى مدينة أورشليم ممتطياً اتاناً وأمامه الرسل ، رافعى أغصان النخيل ، وفارشين أمامهم ثيابهم ، علامة حسن الاستقبال وهذا اللوح من خشب الجميز ، يعلوه نص باللغة اليونانية القديمة ، ينتهى بتاريخ صنع القطعة وهو ١٢ من شهر بؤنه من الأندكتس الثالث (الأندكتس وحدة زمنية مكونة من ١٥ سنة ابتدأ استعمالها من ٣١٢ ميلاديه) وعليه نصوص دينية ويعد من أحسن وأدق الأمثلة على صناعة النجارة عند الأقباط فى ذلك العصر ، وقد جىء به من واجهة كنيسة المعلقة الأثرية، وهو فى الواقع أثمن وأفخر أثر بالمتحف ، ويليه فى الأهمية باب عثر عليه فى أثناء تجديد كنيسة الست برباره ، يرجع تاريخه الى نفس العصر ، وعليه حشوات مربعة بها رسم السيد المسيح والرسل، بشكل بارز ، ويمتاز عن سواه بأنه منقوش من الواجهتين ففى الثانية رسم أوراق الكرم منبعثة فى أجزائه ثمر العنب .

ويليهما فى الأهمية حجاب قديم ، جىء به من نفس الكنيسة عليه مناظر عربية فاطمية تمثل الصيد والقنص .

ومما تجب ملاحظته أن الأقباط فى جميع صناعاتهم الخشبية كانوا يستعملون أنواعاً من

الخشب ذات الرائحة الزكية، التي تساعد على طرد الحشرات كخشب الأرز ، ومن الأشجار التي تعتبر مقدسة هي (الزيتون) الذي كانوا يصنعون منه أدوات الكنائس والأبواب والأختام المعدة لختم القربان المقدس .

ومن أغرب وألطف الاعتقادات القبطية — حتى الاسلامية — هو تقديس شجرة الجميز ولهذه العقيدة أصل فرعوني قديم ، فقد كان الفراعنة الأقدمون يصنعون منه توابيت الموتى والتماثيل الصغيرة (٣٦٦) التي تدفن مع الميت لتقوم بأمور حياته في الحياة الأخرى . اعتقاداً منهم أن شجرة الجميز تعطي الحياة لنفسها ، لأنها تعيش مورقة مخضرة أمداً بعيداً دون أن يصل اليها الماء .

والأخشاب المطعمة تشتمل على مصاريع أبواب الهياكل ، وقد كان للأقباط طريقة خاصة في تطعيم الأخشاب ، فكانوا يحضرون الحشوة الخشبية ويفرغونها ، ثم ينزلون فيها حشوة أخرى من السن منقوشة بشغل بارز ، ومن أعم الزخارف النباتية التي استعملوها هي زهرة اللوتس ، التي استعملها الأقباط في القرن العاشر الميلادي رمزاً للسيدة العذراء — ولهذه الشارة بحث طويل فصلته في احدى مقالاتي بمجلة مصر الحديثة .

وبالمتحف أيضاً مجموعة من الصناديق المعدة لحفظ الملابس الدينية في الهياكل جيء بها من مختلف الأديرة والكنائس القبطية .

(يتبع) صبري فريد

من حكم ابن المقفع

على العاقل أن لا يحزن على شيء فاته من الدنيا أو تولى ، وأن ينزل ما أصابه من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب . وينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة مالم يطلب . ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها ، ولا يبلغن ذلك سكراً ولا طغياناً . فان مع السكر النسيان ، ومع الطغيان التهاون ، ومن نسي وتهاون خسر .

مسألة الزى

ردود القــراء

على استفتاء « المعرفة » فى الزى العام

وردتنا رسائل كثيرة من حضرات قرائنا الكرام فى هذا الاستفتاء ، الذى نشرناه فى الجزء الثانى وقد نشرنا الردود الآتية مكتفين بها ؟

١ — لا أفضل زيا من الأزياء الموجودة الآن مع العلم بأن زيى هو الافرنجى .

٢ — لا أفضلها لأنها : إما مضرة بالصحة (كالطربوش مثلا) أو معيقة عن العمل (كالجبة) أو مسببة للسخرية (كلبس الصغار العمامة) . وهى جميعها لا تدل على قوميتنا الحقة الصحيحة .

٣ — أحبذ توحيد الأزياء سواء الحاكم والمحكوم . ماعدا زى رجال الدين فيجب أن يختلف بعض الاختلاف للدلالة عليهم .

٤ — أما التعديل الذى أراه فهو أن يكون لباس الجسم كالجلباب القصير للرجال ذى الكمين القصيرين مقفل الجيب عاليه (فتحة الرقبة) أما لباس الرأس فيتخذ من (الكوفية) بعد تكييفها بين العربيــة والمصرية الفرعونية ، وبذلك تقى حرارة الشمس والبرد ، ولا تضغط على مسام الرأس . ولتدل على قوميتنا الصحيحة وشعارنا الأسمى . أما ما يلبس فى الأقدام ، فلتكن الجوارب مثقوبة ، والأحذية مثقبة من جميع نواحيهـا فتشبه ما يسمى (بالصندل) .

هــذا لباس الرجل . أما لباس المرأة فلا بأس من أن يكون كلباس الشرقاويات . أو القرويات المصريات .

عبد العظيم أحمد

— ٢ —

إنى من القائلين بتوحيد الزى ، والزى الذى أفضله هو اللباس الافرنكى الحالى ، ماعدا (الياقة) الخانقة (والكرافته) المؤنثة وأرى تعديله بحيث يكون (البنطلون) فضفاضا ، وبه ازرار « كبسول» من جانبيه تبتدئ من القدم الى الساق ، ليسهل على الفلاحين العمل به

ورفعه أثناء الحاجة الى رفعه ، وكذلك أكام (الجاكتة) ، توضع بجانبيها أزرار لفكها أثناء الوضوء أو العمل فى الحقل ، بدون حاجة الى خلعها مع المحافظة على أناقتها الحالية . وأما الطربوش فأرى الغاءه الغاء باتا ، والاستعاضة عنه بلبدة مصرية أشبه بالطربوش القصير وبأسفلها رفرفا بأزرار تفك عند الصلاة فى كل وقت ، وإنى قد ارتديت هذا الزى فعلا منذ ثلاثة شهور ، ومزقه أصدقائى بعد أن سخر الناس منى لمخالفته قانون الجمال فى عرفهم الخاطئ .

أحمد محمد عيش

— ٣ —

١ — الزى الذى أختاره هو الزى الذى ترتديه ، وترتديه الأغلبية الساحقة فى مصر . وهو البذلة الأفرنجية ، والطربوش الأحمر الجميل ، فهذا الزى خلق لنا ونحن خلقنا له ، فالتركى والسورى ، والمغربى ، ليبدو جميلا فى هذا الزى مثل مايبدو المصرى وفى هذا الكفاية ...

سيد أحمد أبو ريده

— ٤ —

إن الزى الذى أفضله هو : الطربوش الذى اختاره سعادة الحاتة أحمد شفيق باشا فى العدد الأول من المجلة ، والزى الأفرنجى ، غير أننا نستثنى منه القميص المنشى ورباط الرقبة ونستبدل بهما قميصا يشبه قميص الألعاب الرياضية (سبورت) يكون من القطن صيفا ومن الصوف شتاء . ويعجبنى الرجل القروى الذى ترى صدره مكشوفا صيفا وشتاء يغطيه ذلك الشعر الكثيف الذى يدل على الرجولة الحقة مع أنه يتمتع بكامل الصحة .

أحمد فتحى ناصف

— ٥ —

الزى الذى أفضله بل يجب أن يفضله الجميع ، هو الزى الأوربى ، لأنه الزى العالمى ، أو الذى سيصير كذلك . كما أنه زى المتعلمين .

ونحن نقول بتوحيد الزى ، لأنه أعظم دلالة على تماسك قومية الأمة ، والزى الذى نراه لأمتنا هو الزى الأوربى أيضا ، لأنه زى الأمم المتمدينة .

فنحن نرى العالم المتمدن كله سواء فى الغرب أو الشرق يتخذ الملابس الأوربية ، كما نجد نساءنا يتخذن الفساتين الأوربية .

ولذا نحن نرى من العبث أن نتخذ زيا آخر، غير الزى الأوربى، وإن لم نتخذه تغلب علينا .

ونحن نستفيد من الزى الأوربى كثيراً إذ يحس أقل واحد فينا أنه يساوى الغربى تماماً فيصقل أخلاقه، ويحسن معيشته ويتمدن كالغربى . . .

والزى الأوربى لا يوافق جونا الحار تماماً، فهو بحاجة الى الاصلاح . بل إن الغربيين كونوا بضع جمعيات منتشرة فى أوروبا وأمريكا أغراضها تحسين الزى . فعلينا إذن أن نكون جمعية تتصل بهذه الجمعيات وتطلعنا على تقدمها . حتى يجىء اليوم الذى يقر فيه الجميع هذا الزى الجديد بانتشاره بينهم ؟

حسين أحمد حسين

— ٦ —

الزى الذى أفضله مسألة فيها عندى نظر — فلست من عشاق الأزياء بل أنا من الآخذين بمبدأ (العراء) لأنى درسته وعرفت قيمته ومزاياه، وفى الوقت نفسه لا أجد مانعاً من إبداء رأى عن الأزياء، الى أن نتعلم مزايا العراء وقيمته للصحة والحياة، فنعمل به ونباشره، وذلك آت وكل آت قريب

أما الرأس فلا أرى له أوفق من القبعة، وأعتقد أننا يجب أن نبادل الأوروبيين بها فنعطيهم طربوشنا وأظن أنهم يكونون به أجمل شكلا منا لذلك لن يخسروا شيئاً . . . وهو فى الوقت نفسه لا يضرهم كما يضرنا، فهم فى بلادهم لا يتمتعون بشمس محرقة مثلنا

أما الدين . الذى اعتاد بعض الجاهلين أن يدخلوه فى كل شىء حتى السياسة . . . لا يمنعنا مطلقاً، من إرتداء القبعة، فقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) والطربوش لا يقى الانسان من الشمس المهلكة . أما باقي الأزياء فيجب أن توحد كلها على النظام الأوروبى، فقط أرى أن تكون (البنطلونات) قصيرة جداً .. ويجب أن نبتعد كل البعد عن تلك التقاليد الأوروبية فى فلسفة الملابس وتعدد أنواعها، مثلا يجب أن لا نعترف بما يسمى ملابس للسهرة، وللرقص وسموكنج أو شارلستون، الى آخر ذلك من سخافات

وإنى ضد الياقة والكرفتة فما هما الا حبل مشنقة يؤدى بالانسان الى الاعدام تدريجياً

أما لباس القدم، فيجب أن يكون الصنادل وبدون جوربات فذلك أصح وأرخص ثمناً . .

صالح ابراهيم عثمان

قصة مصرية

آمال

هناك فى واحة سيوة، تلك الواحة القائمة فى وسط الصحراء كأنها بلدة ضائعة بين كثبان الرمال المتوهجة ، تألبت الأقوام فى يوم من أيام الصيف للاحتفال بعيد وطنى كبير . وكلهم من أبناء الصحراء الضاربين فى تلك الواحة، أو من أولئك الذين يرحلون من مكان لآخر طلباً للكلأ والمرعى .

اجتمع القوم هناك ، ونصبوا معالمهم وخيامهم على حدود الواحة المشرفة على الصحراء وأخذوا ينشدون الأناشيد وينحرون الذبائح ، وقد اجتمع الفتيان والفتيات ، وألفوا حلقات رقص وقد ثمل كل بخمرة العيد .

***

عبد الغنى شاب مزارع ، معروف فى الواحة بأمانته وأدبه ، نحيل القوام مثل كل سكان الواحات، أسمر الوجه يشعر الناظر اليه بجاذبية، لسحر عينيه السوداويين، وكان لا هم له سوى إعالة والدته وتحسين زرعه ، وكان مجتهداً نشيطاً فى مزرعته ، حتى أنه فضل أن يشتغل فى ذلك اليوم على أن يشارك قومه أفراحهم عند العصر .

وعند ما ابتدأت الشمس تميل وأخذ النهار يزول ، ذهب عبد الغنى الى منزله ، وارتدى أحسن ملابسه ، وأخذ طريقه الى طرف الواحة ، حيث خيام العيد منصوبة ، لكى يروح عن نفسه عناء العمل طيلة اليوم ، وكان كلما مر فى أحد الشوارع يجده مقفراً الامن أناس قليلين . اذ قد ذهب معظم أهل الواحة الى الخيام المضروبة فى أطرافها ، وبينما عبد الغنى قد قرب الوصول اذ أبصر فتاة راقدة بجانب جملين تبكى بكاء مراً .

اقترب منها عبد الغنى فوجدها فتاة هيفاء بديعة القوام ، مليحة الوجه ، لم تناهز بعد الربيع الثانى من حياتها ، فأشفق عليها وسألها ، لم تبكين يا فتاة ؟ فازدادت الفتاة بكاء ، وأخذت تنتحب حتى كاد أن يغمى عليها ، فانحنى عليها عبدالغنى ، وأخذ حفنة من الماء فى كفيه من جرة على أحد الجملين ، وصبه على وجهها فاستفاقت ، وفتحت عينيها ، فأجلسها عبدالغنى وأخذ يتأمل وجهها قليلا ، فشعر عندئذ بدافع غريب نحوها لا يعلم ما كنهه ، إذ أخذ قلبه يدق سراعاً ، وجسمه يزداد حرارة .

فسألها ثانية لم تبكين ؟ فاجابته : لقساوة الدهر على . فقال لها ، لم أفهم غرضك بعد ، أين أبوك ؟ فاجابته ، أبى فى مصر

فسألها : ألا يوجد لك أقارب ؟ فاجابته ، لى أعمام ثلاثة ، ذهبوا الى الخيام ليعيدوا ، وأبقونى عند الجملين لأحرسهما ، وقد توفيت والدتى ، وكان عمرى ست سنوات ، فتركنى أبى الى أعمامى ، وذهب هو إلى مصر ولا أعلم عنـه شيئاً الى الآن ، وقد أذاقنى أعمامى من صنوف العذاب ألواناً ، وأشكالا ، وجعلونى شبه خادم لهم ، كما ترى بعينيك الآن ، وما كادت تنتهي من كلامها ، اذ أبصرت الفتاة دمعتين تنزلان من مقلتى الفتى ، وقد أشاح بوجهه حتى لا تراه .

فسألته ، لم تبك ؟ فلم يجبها ، وقد هم بالذهاب فسكت بتلابيبه ، وحلفته بأعز عزيز لديه أن يخبرها عن أمر بكائه ، فما كان منه الا أن نظر الى وجهها ثانية ، فتلاقت النظرات وسرت فى كل من الجسمين قشعريرة قوية لا يعلما ما كنهها ، فتلامست أيديهما ، واقترنت شفاها ، واختلط ريقهما ، وطبع الفتى أول قبلة فى حياته على شفتى الفتاة ، فارتمت هى بين أحضانه وقد غابت مشاعرها وسكرت من رضاب الفتى .

غابت الشمس ، وأخذ القمر يرسل أشعته الفضية على الرمال فيكسب المكان جمالا ، وقد هم الفتى بالذهاب الى الخيام ، فقالت له : أين أنت ذاهب ؟ فأجابها : الى العيد . فقالت : وتتركنى وحدى ؟ فحزن الفتى ، وشعر كأن نياط قلبه تتقطع ، فقال لها : قومى واذهبى معى ، قالت : أخاف من أعمامى . فسكت الفتى ، ولم يدر بماذا يجيبها ، فقالت له : ألا تمكث هذه الليلة معى ، فأجابها : أكون لك من الشاكرين ، ثم افترش الفتى عباءته وجلس وأجلس الفتاة بجانبه ، وضمها الى صدره وأخذ يداعب شعرها الذهبي المنعكس على ضوء القمر الفضى ، وسألته ما اسمك ؟ فقال لها : عبد الغنى ، وسألها ما اسمك أنت ؟ أجابته : آمال فردد الفتى صوتها ، آمال ! آمال : ياله من اسم ساحر كصاحبته ! إنه اسم جميل ! فعلت وجه الفتاة حمرة الخجل ، ولم تدر بما تجيبه ، فاقترب الفتى من أذنها ، وقال لها : أحبك يا آمال فما كان من الفتاة الا أن ارتمت على صدره ، وقالت : أنا أيضاً . تعاهد العاشقان على الزواج ، وما تعاهدا إلا على شرف ما فى الحياة ، فأقسما قسم الحب ، وأخذا يبنيان الآمال ، وما عسى ستكون حياتهما فى المستقبل ، واتفقا أن يذهب الفتى الى أعمامها ، ويطلبها منهم فى أقرب وقت .

رفض الأعمام هذا الزواج، وكان لهذا الرفض أسوء أثر فى عبد الغنى وآمال ، ولكى ينفذ الأعمام كلامهم ، أسرعوا بزواج آمال بأحد أقاربها . علم عبد الغنى فاستشاط غيظاً ، وكاد يطير عقله ، وعلمت آمال بذلك فذهب قلبها شعاعاً ، وبكت بكاء مراً ، كيف تهب قلبها لمن لا تحبه ؟ وكيف تعطى جسمها لرجل لا تعبده ؟ أجل أنا لا أحب الا عبد الغنى ، بذلك صرحت لأعمامها ، فضربوها ضرباً مؤلماً ، فبكت وبكت ، ولكن لا ينفعها البكاء ! ! .

اختفى عبد الغنى طيلة هذه الأيام فى منزله ، وقال لا بد أن لا أنفذ هذا الزواج ، وفى ليلة الزفاف بعد انصراف الجمع المحتشد لحضور هذه الليلة ، وبعد أن نام الجميع سوى العروسين فى غرفتهما المنعزلة . . . كان الناظر ليلا يشاهد فتى ملتف بعباءة سوداء يتسلق جدران المنزل ، ويعالج نافذة الغرفة لكسرها ، حيث يخرج منها بصيص من النور ، كسرها بدون أن يشعر أحد بذلك ، ونظر الى الداخل فوجد آمال راقدة تبكى بكاء مراً ، وزوجها بجانبها يداعبها ويلاطفها ، وهى تقول له : لا ، لا . فجن عبد الغنى جنونه ، وقفز الى داخل الغرفة حالا ، فانذهل العروسان ، وللحال أخرج عبد الغنى مدية حادة من تحت معطفه ، وطعنها فى قلب ذلك الرجل الذى سلب قلبه ، وأمات آماله ، وقد أبقى عليه الى أن أسلم روحه الى خالقها ، وعندئذ التفت الى آمال ، وقال لها ، لم تبكين يا آمال ؟

فارتعبت الفتاة ، وقالت أعبد الغنى أنت ؟ قال لها نعم ، أنا حبيبك السابق . قومى ، وأسرعى لنهرب من ذلك المكان ، فقالت آمال ، لم قتلت زوجى ؟ : ألم تعلم أنك لا تخلو من العقاب ؟ فأجابها ، أعلم ذلك كل العلم ، قومى وأسرعى . ولا تخافى من شىء وسأذهب بك الى مكان لا يعلمه سوى الله .

فحملها بين ذراعيه ، وبينما هو يتسلق النافذة اذ وقعت الطاولة الواقف عليها . فاحدث سقوطها صوتاً مريعاً ، ووقع الحبيبان على أرض الغرفة

استيقظ أهل البيت مرعوبين ، ودخلوا الغرفة حالا ، فجمدوا فى أماكنهم لهول المنظر ، الزوج مقتول مضرج بدمائه ، وآمال مرتمية على الأرض بجانب حبيبها السابق : عبد الغنى .

صاح الجميع بصوت واحد القاتل ! ! القاتل ! !

أمسكوا عبد الغنى ، وربطوه بالحبال ، وحملوا القتيل وذهبوا الى القاضى لينظر فى الأمر .

وأدع عبد الغنى السجن رهن محاكمته ، ودفن الزوج بمشهد مريع فى الصباح .

الحكم

علمت القرية بتلك الحادثة المحزنة ، وانتظروا الحكم بفروغ صبر . وفى اليوم المحدد لصدور الحكم على عبد الغنى ، اجتمع القوم منذ الفجر ، وأخذوا يفدون على ساحة المحكمة وحضر الأعمام وأقارب الزوجة والزوج المقتول .

أما آمال فقد هربت من منزلها ، وذهبت مختفية لترى ماذا سيحل بحبيبها ، وأخذت مكاناً منزوياً لكى لا يراها أحد .

وفى الساعة المحدودة دخل القاضى ، وأدخل عبد الغنى يحرسه جنديان ، وأوقف فى قفص الاتهام .

إشرأبت الأعناق ، وحبست الأنفس ، ووقف الجميع ، وكأن على رءوسهم الطير .

أعلن الحاجب بصدور الحكم

وقف القاضى وقال بصوت مرتفع :

حكمت المحكمة ببراءة عبد الغنى .

انذهل الجمع المحتشد ، وقالوا فى أنفسهم ، كيف يعفى القاتل من الجريمة ؟ !

وكأن القاضى علم ذلك فتابع كلامه وقال :

أجل : حكمت المحكمة ببراءة عبد الغنى من تلك الجريمة ، لأنه لم يدفعه الى ذلك القتل سوى الحب ، وحيث أن الحب يتسلط على النفوس والقلوب ، فلا يقدر أحد أن يصده ، فجريمة القتل التى ارتكبها عبد الغنى ، لم يرتكبها بمحض ارادته بل بدافع فى قلبه أجبره على ذلك . هو الحب ، وحيث أن الحب كلمة معنوية لا تقع تحت عقاب أو قصاص ، فعبد الغنى برىء من تلك التهمة .

وللحال علا التصفيق ، وهتف الجميع ليحى العدل ! ليحى العدل ! !

وبينما القوم يصفقون ، ويهتفون إذ سمعوا صوتاً رقيقاً نحيلا يقول ، أين حبيبى عبد الغنى فوقفوا ليروا من أين آت هذا الصوت الرقيق ؟

وللحال هجم عبد الغنى وسط الجمع المحتشد ، وقال : ها أنا يا آمال ، فارتمى الحبيبان على بعضهما ، وأغمى عليهما من شدة الفرح

وفى اليوم الثانى تألبت الأقوام ثانية لا لحضور عيد وطنى ، بل لحضور حفلة زفاف عبد الغنى على حبيبته آمال ؟

س . نجيب . ك

العلوم والفنون

النمل والحيوان الذى يتغذى به

إننا نفترض أن دراسة التاريخ الطبيعى خاصة فقط بقليل من العلماء ، بينما نجد أن الجانب السهل من هذا العلم هو مصدر تسلية لذيذة للأولاد بل وللرجال والنساء أيضاً ، أما الدراسة الجدية للحيوان والنبات فانها تستدعى تعمقاً فى البحث عن التفاعلات المعقدة التى تدبر أمر هذه الأنواع المتباينة من المخلوقات الحية ، حتى الانسان نفسه · وإن الذى يدرس الحيوان جيداً هو بلا شك أقدر شخص يفسر لنا ما يراه من حياة الحيوانات المختلفة وخصائصها . ولكن الذين لا يستطيعون تخصيص حياتهم لهذه الدراسة يمكنهم مع ذلك أن يوسعوا مجال تصورهم للحياة فيستفيدوا أنفسهم ويفيدوا من حولهم . ويكفى للشخص أن يكون لديه حديقة صغيرة وأن يدرس ما بها من أنواع المخلوقات حتى تتجمع لديه معلومات جمة .

ومما يلفت النظر فى هذا النوع من الدراسة ، حيوان يدهشنا بخصائصه الممتازة ويراه من يكون له حظ زيارة حديقة الحيوان بلندن ، وهو ما يسمى « آكل النمل » وموطنه الاصلى أمريكا الجنوبية . ويتغذى هذا الحيوان كلية بالنمل ، مع أننا نعلم أن الحيوانات التى تتناول غذاءها من الحشرات قلما تأكل النمل وذلك لوجود حمض النمليك اللاذع فيه ، هذا بينما يسيغ هذا الحيوان ذلك الطعام الحريف ويجد فيه لذة كبيرة .

يختلف جسم هذا الحيوان اختلافا بيناً عن كل الحيوانات التى نعرفها وليس له شبيه منها مطلقاً ، فترى شكل الرأس كأنه أنبوبة طويلة تنتهى بشق ضيق هو الفم بينما نجد العين والأذن ثقبين مجعدين ومتجهين الى الاعلى . أما الجسم فانه يتقوس تقوساً كبيراً وتظهر فيه الأطراف الاربعة مشوهة الشكل يرتكز بها الحيوان على الارض بواسطة الجزء الجانبى من الاقدام . وفى نهاية الاقدام نجد مخالباً كبيرة يستعملها للحفر فى الارض وفى الدفاع عن نفسه عندما تهاجمه الكلاب وبنات آوى لانه عدو لدود لها ، فانه بسرعة البرق ينشب مخالبه فى هذا العدو المهاجم ويمزق جسمه شر ممزق ، ولكن اذا ترك فى

سلام فانه يعد من أهدأ الحيوانات وأقلها خطراً ، لانه كما يستدل من اسمه ، لا يعيش الا على النمل الذى هو خطر مريع على الانسان فى أمريكا الجنوبية . وفى نهاية جسم هـذا الحيوان الغريب تجد ذيلا يختلف عن كل ذيل تتصوره ، إذ يشبه مروحة هائلة كبيرة جداً بالنسبة لهذا الجسم .

وإننا لا نعرف كيف هاجم هذا الحيوان قديماً هذه الحشرات النشيطة ولكننا نفترض أن لسانه الرطب أفاده فى ذلك ، وكان من نتيجة استعماله قروناً طويلة أن استطال فمه واتخذ شكلا أسطوانياً يشبه الخرطوم . وبما أن هذا النوع من الطعام (النمل) يلزمه فم لا يفتح بأكثر من أن يسمح بظهور لسان فى شكل الدودة كانت الشفتان رقيقتين . والآن يظهر لنا الفم كأنه شق ضيق فى نهاية الخرطوم . وفى أثناء خروج اللسان من الفم يفرز عليه مادة لزجة تجعل كل نملة تلصق به لا يمكنها أن تنتزع نفسها منه .

يسكن هذا الحيوان الغابات الجافة فى أمريكا الجنوبية ويوجد ما يشبهه (فى الغذاء بالنمل) ولو أنه يختلف عنه اختلافاً بيناً فى الجسم ويسكن غابات أفريقيا وآسيا .

تربية الصقور وتدريبها
فى جامعة اكسفورد

أنشىء ناد فى جامعة أكسفورد لتربية الصقور وتدريبها ، ويبلغ عدد أعضائه الحاليين حوالى خمسين عضواً وكلهم من هواة تربية الصقور . وبما أن القوانين هناك تمنع صيد الحيوانات بواسطة الصقور حول أكسفورد ، فقد رأى أعضاء النادى أن يقوموا بتدريب الصقور حول بلدة أتمور التى تبعد عن أكسفورد بنحو ستة أميال . ومن الغريب أن هذه البلدة اشتهرت سابقاً بتربية الصقور ، ولكن بتوالى السنين اندثرت فيها هذه العادة الى أن بعثت ثانياً فى هذه الايام . وكان من مشاهير الهواة فيها ضابط يدعى كابتن نايت اشتهر فى أنحاء العالم بتدريب الصقور والبزاة والنسور وكان فوق ذلك يكتشف بها أماكن مجهولة ويصورها تصويراً دقيقاً أثناء طيرانها ويلقى عنها محاضرات قيمة

ويدرب الصقر على أن يعلو فى السماء ويظل محلقاً ، وفى هذه الأثناء يطارد كلب الصيد الطيور الصغيرة التى تكون حينذاك على الأرض فاذا ما ارتفعت هذه الطيور فى

الجو أنقض عليها الصقر بسرعة البرق وحملها فى مخالبه ورجع بها إلى صاحبه . كما يدرب أيضاً على الطيران مسافات شاسعة والرجوع ثانياً إلى يد صاحبه ، وكثيراً ما يهاجم الحيوانات الصغيرة فوق الأشجار وعلى الأرض مثل ابن عرس وغيره ثم يحملها فى مخالبه الكبيرة الى صاحبه ، ويعتبر الصقر من الطيور التى لديها شىء من الأدراك .

تصوير الحيوانات

فى مجاهلها الطبيعية



من مدهشات الابتكار ما قام به مصور انجليزى رحالة من تصوير الحيوانات الضارية فى غاباتها وهى فى حالتها الطبيعية ، وذلك بأن يضع شريطاً من المغنسيوم فى طريق الحيوان وتحت هذا الشريط بمسافة صغيرة جداً يوضع سلك كهربائى ، فاذا لمس الحيوان أثناء سيره الشريط اتصل الشريط بالسلك وتوهج بضوء ساطع فيتمكن المصور الذى يكون حينئذ كامناً فوق شجرة ، من التقاط الصورة . والصورة التى فى أعلى ترينا منظر النمر وهو سائر ليلا الى النهر ليشرب

(ح . ش)

مملكة المرأة والبيت

كيف تكونين جميلة ؟

قالت مس ديكسون الممثلة الشهيرة مانعربه بما يأتى : —

فى استطاعة كل امرأة أو فتاة أيا كان سنها أن تكون جميلة ، وأن تحصل على أوفر قسط منه ، فان الجمال ليس وقفاً على فئة خاصة ، ولا هو خاص بالمثريات المترفات كما قد يظن أغلب النساء ، من أن الثراء والترف وحياة الراحة والسكون ، مما يؤدى الى اكساب الوجه حسنا ، والطلعه رواء ، وهذا خطأ محض . ولا يقوم على أى أساس صحيح . وأنت إذا أحببت أن تكونى جميلة وهذه هى بغيتك كما هى بغية الجميع ، فعليك باتباع النصائح الآتية :

أولا : لا تتأخرى فى النهوض من فراشك ، بل عليك أن تنهضى عنه فى الصباح الباكر ، أو فى السادسة والنصف صباحاً ، فان ذلك ينعش جسمك ، ويكسبك صحة وعافية . ويجب أن تتجنبى بقدر الطاقة كل الاجتماعات أو السهرات التى تضطرك الى السهر الى ما بعد العاشرة مساء .

وإذا ما ذهبت إلى فراش النوم ، فلا تنامى على وسادة مطلقاً ، بل ضعى رأسك على الفراش مباشرة ، لأن وضع الرأس على الوسادة ، يسبب نمو الغدة تحت الذقن ، وينتج من ذلك تشويه الرقبة ، وعدم توازن الكتفين .

ثانياً : احذرى التدليك ما لم يكن بارشاد طبيب اختصاصى ، فان التدليك يقتضى معرفة بالقواعد الطبية ، واتجاه الأعصاب والأوردة . فاذا لم يكن التدليك على نظام صحى ، ضاع الغرض المقصود منه . على أنه يلاحظ أن التدليك ليس ذا أهمية فى الجمال كما تتصورين . وأنا شخصياً أفضل عدم التدليك بالمرة مالم يكن على يد اختصاصى . فاذا لم تساعدك ظروفك المالية ، فلا تهتمى بهذا كثيراً .

ثالثاً : قللى ما أمكن من غسل الوجه بالماء ، فانه كثيراً ما يسبب خشونة فى البشرة ، وتقشفاً فى الجلد ، والأفضل أن تتبعى الطريقة الآتية فى كل أسبوع مرة :

ضعى إحدى (الفوط) فى ماء ساخن ، ثم غطى بها وجهك ، وكررى العملية مرات حتى يسخن الجلد ، وعندئذ تتفتح المسام ، وتفرز العرق فتنظف وجهك من الأوساخ .

ولا بأس من دهنه بمرهم بسيط خاص لذلك ، ويشترط أن يكون غير معطر ، وأن تكون مواده من (الفازلين)

قد تكون هذه الطريقة مخالفة للمألوف ، ولكنها خير علاج وصلت إليه بعد عدة تجارب

رابعاً — اعتنى كل العناية بعينيك ، فأن فيهما سر الجاذبية والجمال ، وعليهما وحدهما يتوقف نصف الجمال الذى تنشدين ، فحاذرى من سقوط الأهداب أو تكسرها ، وإياك ومعالجتها بالكحل أو الكوزماتيك ، فأنهما يسببان التهاب الجفون على كر الأيام . وخير طريقة لحفظ جمال العينين ، هى غسلهما بمحلول البوريك يومياً ، وذلك بأن تبللى قطعة قطن مطهر بالمحلول المذكور ، ثم تمسحى بها عينيك برفق ولين .

خامساً — ثقى أن نصف الجمال الآخر ، يتوقف على الصحة ، وهذا مسلم به ولا يخفى على أحد ، وخير الطرق الموصلة للصحة وتحسينها هى الرياضة البدنية ، فى حدود الاعتدال فيجب القيام ببعض التمرينات الرياضية وسط الهواء الطلق ، ويستحسن أن تكون التمرينات التى تقومين بها ، من نوع المشى أو السباحة ، أو ركوب الخيل إن أمكن .

سادساً — اعتنى كل العناية بأسنانك ، فانها شرط أساسى لتوفر الجمال ، فانه فضلا عما للأسنان من قوة التأثير ، وجمال المنظر ، فان علاقتها بالمعدة لا تنكر . فلكى تحتفظى بمعدتك سليمة ، يجب العناية بأسنانك . وإلا نشأ عن ذلك ، سوء الهضم وما يصحبه من اصفرار وسأم وسويداء وضياع جمال الوجه ، وذهاب بريق العينين مما يتسبب عن فضلات الأطعمة المختلفة ، التى تسبب فى أحيان كثيرة تعريض الجسم لعدة أمراض .

سابعاً وهو الأخير — تعلمى دائماً كيف تبتسمين ، ففى الابتسامة سر النجاح فى الحصول على الجمال .

العنـاية بالبيانو

خير الطرق للعناية بالبيانو وحفظه من التلف هى أن يحافظ عليه من الرطوبة لأنها أكبر متلف له ، وعند مايكون الهواء جافاً ، فيجب فتحه وتهويته لكى لا يتأكل صوفه وتصفر أصابعه .

أدبيات

يوميات شاب

المذكرة الأولى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٠ — أكتب عن هذا الصباح بضعة سطور حتى اذا مامرت السنون أصبحت لى ذكرى أتصفحها كلما هزنى الحنين.

اتضح الأمر وأصبح الكل يعرفون أننى أحمل قلباً يشاطره قلب آخر كله حب وحنان..

ولكن أنت يا أبى! لم حرمت الحب على، ودنست كلمة المحبوبة بلعنتك إياى؟.. ولم قتلت قلبى؟ لقد كانت عزيزة على من سكنت فيه.... ولقد تعاديت أنت مع أبيها من زمن بعيد، من أجل شهوة المال. ولكن أنا وأمينة لسنا عدوين.... أبى بالله... أى وحشة مخيفة أحس بها فى قلبى وأى فراغ مريع أجد فى نفسى..... آه يا أبى وارحمة لى منك: فكثيرا ماأقول، لو كنت استطعت أن أضمها الى صدرى ضمة الوداع وأقص عليها تحريمك على سعادة الحب، لزالت عنى تلك الوحشة المخيفة وامتلأ ذلك الفراغ الفسيح..

وأنت يا أمى! لم تعاديتما، من زمن بعيد. ولم أدر كيف تقولين دعها وابحث عن غيرها: وأى فتاة أخرى أستطيع أن أحبها بعد أن عاهدت أمينة؟ أو أجرؤ على النظر إليها، وأمينة هى التى سكنت قلبى واستأثرت بحبه فكيف أعرف سواها فى هذا العالم....

وأنت يا أخى الأكبر! لم جاريت أبويك فى عداوتهما ولم تصلح ذات البين بينهما..؟ أى أخى! لم بصقت فى وجهى وأنت الذى تقول لا سعادة بغير حب.... أى أخى... نعم... ها أنا شاك باك حزين لأننى فجعت فى أعز البشر عندى، أى أخى كل شىء ينسى ويمحى من الذاكرة ولكن القلب... القلب يا أخى لا ينسى أبد الدهر الخفقة الأولى له!!

اللهم تداركنى برحمتك، فان قلبى ممتلىء بالهواجس ويئن كأنه يريد أن يندفع خارج صدرى، وفى هذه الحجرة أكاد أختنق كما لو كنت فى قبر...

أى أخى إننى ثائر متمرد على هذا المجتمع الانسانى انك قادم نحوى ترافق والدتى وقد

أتت لتباركنى وتسامحنى ، وإننى راكع عنـد موضع قدميها أبلله بدموع الفرح وأقول لعل أمينة تحضر الى هنا وتشاركنى هذه البركة وتباركنى هى أيضاً ، فواهاً من أحلام تمر سراعا ...... آه أيها الوالدان فلو سمحتما لأمينة بأن تأتى الى هنا لتودعنى وداعاً أخيراً ونبكى سوياً لذكرى حبنا الماضى .... أثور كالمجنون ياشقيقى وأفكر فى الموت فليس الموت مؤلماً .... وأعود أسأل نفسى هل يوجد حقيقة إنسان يدعى أمينة ويحبنى حقاً ؟ أم أنا مغرم بمعبودة وهمية .... كلا ! فلقد رأيتها بالأمس فعرفتها من رباط عنقها الأحمر وقد ذبل جمالها .

أنا ذاهب ياشقيقى الآن لرؤية أمينة ، ولكن حينما أتذكر حكم أبيك القاسى يتمزق فؤادى .... لقد كنت أبحث هذه الليلة فى طريقة أصلح بها ذات البين بين عائلتينا فخيل إلى أننى أسمع أنين أمينة عن بعد ، فبللت فراشى بدموعى ، وكنت أتقلب فى فراشى وأضم الوسادة بين ذراعى باحثاً عن أمينة ....

أتضرع الى ملك السماء كل مساء ولـكن بدون جدوى .

اليوم اكثر من كل يوم ، عقلى مضطرب ، ونفسى خائرة ، وجسمى منهوك ووجهى مصفر من الموت .... آه يا أخى إننى أناديك الآن ولا تسمعنى ....

أيها الخالق ! ألست أنت معزى البؤساء ؟ ؟ إننى أبتهل اليك وأتوسل وأدعوك أن تخلص روحى ...

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل

وداعاً يا أمينة وداعاً . فلقد أقلقت هناء عائلتك ، وها أنا مسافر ... ما كنت أظن أننى قادر على أن أفارقك دون أن أموت ألماً — إننى مسافر وعقلى ممتلىء بفكرة دوام حبك ودوام بكائى عليك .. بحثت عنك اليوم لأودعك ... ولـكن كان بحثى دون جدوى ....

أمينة ! ليس عندى منك شىء سوى رسالتك التى بعثت لى بها حينما كنت فى بلدتى ، فعدت إذ ذاك فى الحال لدعوتك .... فـكم مرة قلت لنفسى لقد أزهرت وردتى فهل آن لى أن أشم عبيرها الفياح ؟ .... آه يا محبوبتى أين أنت الآن .... سأسافر ولا أعرف هل أستطيع تجفيف دموعك حينما تعلمين أن أعز إنسان لديك قد رحل ، وهل أستطيع بعد الآن مشاركتك فى مصائبك .. ؟ ؟ ... لا أعرف ! ! . ولا أعرف متى أراك ثانية فوداعاً يا أمينة وداعاً ...

وليم نصر الخضراوى

باب النقد والتقريظ

كتاب

المثل الكامل

محمد : صلى الله عليه وسلم

تأليف الأستاذ محمد بك جاد المولى

واذا ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم فأنما ذكر اسم أشرف مخلوق اقترن اسمه باسم الله العلى القدير . وانما ذكر اسم ذلك النور الذى أضاء رحمة وبشرى للعالمين .

ذلك اسم كتاب جليل وضعه الأستاذ العالم العامل « محمد جاد المولى بك » . ومن أحق بالكلام عن السيد السند الرسول ، غير الأستاذ الفاضل ، وبيانه عن دينه القيم بمؤتمر المستشرقين بلندن فى سنة ١٩٢٨ ميلادية ليس ببعيد ؟ ذلك البيان الشافى الذى أثلج صدر كل مسلم ومسلمة بما حواه عن القرآن الكريم حتى وجم له من كان فى قلبه مرض أو ألقى السمع وهو حسير .

تصفحت الكتاب فوجدته يجل عن الوصف حقاً ، فلقد بدأه بالكلام على أشرف الأنبياء والمرسلين من الأرومة الى المهد ، ثم تكلم عنه صلى الله عليه وسلم صبياً وشاباً ، فنبياً مرسلا ، فواعظاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ففاتحا عظيما تحلى بمكارم الأخلاق . فوفق التوفيق كله وضرب بسهم وافر من رسوخ علمه وقوة ملاحظته وهو ليس على من يعرف مكانة الأستاذ العلمية بغريب .

وفى الحق ، إن المطلع على هذا السفر القيم لا يسعه الا الثناء العاطر والتقدير الجليل لذلك المجهود الذى ظهر نوره فى وقت ، الأمة فى أشد الحاجة الى خلق جديد جاء نتيجة محققة لمقدمته حيث يقول :

« ولما كانت سيرة محمد صلى الله عليه وسلم من مولده الى مماته ثابتة ثبوتاً لا مرية فيه :

لجميع أعماله مدونة ، وأحاديثه مسطورة شاملة لما يحتاج اليه بنو البشر فى معاشهم ومعادهم وكانت حياته ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بانهاض بنى الانسان وتثقيف عقولهم ، وتقويم أخلاقهم وإصلاح شؤونهم . كان هو هو المثل الكامل . ولا غرو فهو خير البرية طفلا ، وأنجبها كهلا ، وأطهر المطهرين شيمة ، وأمطر المستمطرين ديمة ، وهو خير أسوة للفرد فى قبيلته ، والزوج مع زوجه ، والأب مع ولده ، والمربى مع تلميـذه ، والواعظ مع مستمعيه ، والجندى فى حومة الوغى ، والقائد فى تدبيره ، والمتشرع فى أحكام شريعته ، والقاضى فى قضائه ، والسياسى فى حكومته ، والملك فى رعيته ، والمسالم لأوليائه ، والمحارب لأعدائه ، والعابد فى محرابه ، والزاهد فى قناعته ، كل أولئك يجدون من حياته العملية مثلا يحتذونها وروحاً يقوون بها على مزاولة أعمالهم ، وأما مايسيرون عليه فى تحقيق مآربهم ، ومرداً يرجعون اليه عند حيرتهم وإن اختلفت مشاربهم وتباينت ألوانهم»

إن أقل وصف لكتاب هذا شأنه أنه « صيحة النور والهدى الى الحق » صادر من قلب عامر بالعلم الصحيح الذى أدى بصاحبه الى نور البصيرة ، زاده الله فضلا من عنده

وخليق بكل شاب وكهل ، بل بكل فرد فى الاقطار جميعها ، أن لا يدع ذلك القبس الذى يكاد يضىء ولم تمسسه نار . خليق به أن لا يدعه دون دراسة وانى أهيب بكل مصلح أن يسعى لاقرار دراسته بمدارسنا جميعاً ، فما أحوجنا اليه فى هذا الوقت العصيب .

ولمثل هذا فليعمل العاملون ؟ فاضل حسن مسعود

دراسات فى الاخلاق

تأليف الأستاذ يعقوب فام

هذا اسم كتاب أهدى الينا ، تصحفناه فوجدناه كتابا قيما حسن التبويب سهل العبارة جزيل الفائدة ، وهو بحث وتحليل لحالات خاصة فى تربية الصبيان ومعالجة كثير من نقائصهم الخلقية ، وبناء أخلاقهم على أساس متين من الفضائل طبقا لاصول علم التربية . ولا عجب فى ذلك . فالاستاذ خريج جامعة بيل . ومارس التدريس مدة اكسبته خبرة عملية ، أضيفت الى خبرته العلمية ، وقد وضع كتابه هذا ووصف فيه كثيرا من الادواء لمعالجة نقائص التلاميذ الخلقيـة وتهذيب ماشذ من أخلاقهم ، فكان موفقا فى ذلك كل

التوفيق والكتاب لا يستغنى عنه أحد من المدرسين أو المربين ، ليكون نبراساً لهم يسترشدون بما أودع فيه الاستاذ من نتائج خبرته وطول مرانه . وهو مطبوع طبعاً متقنا على ورق مصقول ويقع فى ٢٤٧ صحيفة .

(س . ع)

جنة فرعون

للأستاذ الشاعر عبد اللطيف النشار

جنة فرعون — مجموعة من شعر الاستاذ عبد اللطيف افندى النشار تقع فى ٤٨ صفحة من القطع الصغير ، تطالعك من بين سطورها رغبة قوية تحدو بناظمه الى طلب الكمال لنفسه فى فن الشعر، وليس أدل على ذلك من العناوين التى اختارها لنظمه ، فهى مواضيع شعرية بكل معنى الكلمة

فأنت اذا نظرت الى عنوان قصيدة (جان دارك) أو قصيدة (نابليون) وكنت من الذين يزاولون النظم ، لعرفت الى أى مدى عظيم تحلق شاعرية الأستاذ النشار ، وإلى أى أفق من الآفاق يسمو بفكره ويحلق بخياله العربى الوثاب .

وهناك ظاهرة لايحسن أن تنسى للأستاذ ، هى أنه مع نظمه فى مواضيع هذه العناوين الجديدة لم يبتذل فى لغته ، ولم يسف فى فكرته ، فظهرت منظوماته غاية فى القوة والمتانة وجزالة الاسلوب ، فكأنه ينظم فى المواضيع المطروقة للشعراء طراً مع أن مواضيعه كما يراها القراء من عناوينها لم ينظمها شاعر عربى سواه ، أو على الأقل لم يتألف منها مجموعة شعر عربى قبل مجموعته التى نتكلم عنها الآن . وقصارى القول أن الاستاذ فى نظمه قد أرضى المجددين وأرضى المحافظين على السواء فخرج من ذلك بأسلوب شعرى حرى أن يسمى من أجله بالشاعر العصرى لأن فى هذا الأسلوب برهاناً على شاعرية مستقلة غير مقيدة فهى كما تنتفع بالقديم كذلك تستطيع أن تستغل الجديد بل تستطيع أن تمزج من القديم ومن الجديد مزاجاً من الأدب خليقاً بهذا العصر الزاخر أن يرى نفسه مصورا فيه بأبلغ وأرق أدوات التصوير .

(م . ا)

صفحة فكاهية

جواب مسكت

حدث فى أحد الاجتماعات الانجليزية أن وقف ارلندى وقال : لنهتف ثلاثا لارلندا ، فاغتاظ أحد الموجودين من الانجليز وقال : لنهتف ثلاثاً لجهنم ، فقال الارلندى . أحسنت أيها الأخ فكل منا يهتف لوطنه .

فى مصلحة البريد

الفلاح لعامل البريد — أعطنى ورقة بوستة لطنطا فأعطاه العامل طابعاً ، وانصرف الفلاح وجاء فى اليوم الثانى يقول اعطنى ورقة بوستة للزقازيق ، فلما أعطاه العامل الطابع ، صرخ فى وجهه الفلاح وهو يقول : أتريد أن تخدعنى ؟ هذه الورقة هى نفس ورقة البارحة !

الصداع النسائى

الصديق — كيف حال امرأتك ؟

الزوج — تشكو اليوم من ألم شديد فى رأسها .

الصديق — وأى دواء معتادة أن تأخذه فى مثل هذه الحال ؟

الزوج — برنيطة جديدة !

الغلط فى الميزان

المعلمة — إذا كان رطل الجبن بقرشين فاذا دفعنا للبائع ٨ قروش فكم رطلا يعطينا ؟

الولد — اكثر قليلا من ٣ أرطال يا سيدتى .

المعلمه — ولكن هذا الجواب غير صحيح .

الولد — أعلم ذلك جيداً . ولكن هكذا يفعل البائعون دائما معنا .

خادم حريص

السيد — لقد فقدت مفاتيحى فهل عثرت عليها ؟

الخادم — لا تهتم يا سيدى فعندى مفتاح يفتح جميع الأبواب .

(اختيار ع . م)

بين المعرفة وقرائها

تعلم الطيران

(فارسكور . مصر) — م . م العشماوى . شاب يريد أن يتعلم الطيران . فهل يتيسر له ذلك داخل القطر ؟ وأى مطار يصلح لذلك ؟ وفى كم سنة يحصل على شهادة تؤهله للقيام بهذا الفن ؟ وماهى المصاريف بالتقريب التى يصرفها فى العام ؟ وهل يمكن أن يتكسب من هذا الفن داخل القطر ؟ واذا لم يتيسر ذلك داخل القطر فهل تتفضل « المعرفة » بالاجابة على هذه الأسئلة بالنسبة لانجلترا أو ألمانيا مثلا ؟

(المعرفة) أحلنا هذا السؤال على أحد حضرات الاختصاصيين فى فن الطيران فكتب إلينا الرد الآتى : —

غير متيسر الآن لأى شخص ملكى (أى غير عسكرى) أن يتعلم الطيران فى مصر وهناك مشروع انشاء مدرسة للطيران المدنى يقوم به نادى الطيران الملكى ، ولكن الآن لم يتم فيه شىء حاسم ، وآخر الأخبار عنه أن هذا النادى طلب من الحكومة إعانة وأعارته قطعة أرض بمطار ألماظه لبناء مدرسة عليها . ولا تزال المسألة فى دور البحث

وفى هذا الرد ما يغنى عن الاجابة على بقية الأسئلة فيما يختص بالطيران فى داخل القطر .

أما فى انجلترا وألمانيا فممكن للشخص أن يتعلم الطيران مدنياً . أما مدة التعليم فتتوقف على استعداد الشخص . ومطلوب منك أن تطير وحدك (Sole) كذا ساعة حتى تعطى رخصة تسيير طيارات ، ومقدار اكثر من ذلك حتى تعطى رخصة تسيير طيارات بها ركاب .

أما فيما يختص بالتكسب داخل القطر فلا أظن أن فى هذه اللحظة أى محل يمكن الشخص الالتحاق به ، ولكن إن شاء الله فى المستقبل سوف يحتاجون الى عدد كبير من السواقين والميكانيكيين فى الخ[illegible]ى ستنشأ ، ونحن ننصح حضرة السائل أن يتصل ببنك مصر فنحن نفهم أنه كان يتفاوض فى مسألة إنشاء شركة للنقل الجوى .

أما فيما يختص بالطيران المدنى فننصحه بمخابرة شركة (Imperial Airways)

جنسية محرر المجلة

(القاهرة . مصر) — على مصطفى بالاشغال العسكرية

عند ما تناولت مجلتكم (المعرفة) لأول مرة، لفت نظرى لقبكم وهو (الاسلامبولى) وبما أنى لا أعرف عن هذا الاسم الا انه اسم تركي يتخذه بعض الأتراك المهاجرين للدلالة على جنسيتهم فقد بدا لى أن أسألكم عن ذلك، وقد يكون فى سؤالى هذا شىء من الفضول ولكنى أريد أن أعرف ما إذا كنت تركياً كما يبدو من لقبك أم مصرياً اشتهر بهذا اللقب؟

(المعرفة) أشكر لحضرة صاحب هذا السؤال على ما أتاحه لى من فرصة التحدث الى القراء عما يجول فى نفوس الكثيرين منهم من الرغبة فى معرفة جنسيتى التى أشكلها عليهم لقبي (الاسلامبولى)

أما جنسيتى فلى الشرف كل الشرف بأن أقول: إننى مصرى المولد والمنبت والنزعة والدم، والأب والأم والأجداد لها، فأما أجدادى لأبى فانهم حتى الخامس منهم مصريون لحماً ودماً، وأما السادس فعربى المنبت والنشأة يتصل نسبه ببنى هاشم أشراف قريش. وذلك عن طريق جدى سيدى مصباح ذى المقام المقام ببلدة صندلة مركز كفر الشيخ

فأما اسمى بأكمله فهو عبد العزيز عزت مصطفى هاشم الاسلامبولى. وأما سبب هذا اللقب (الاسلامبولى) فيرجع الى شهرة أحد أجدادى بتجارة «الشيلان الاسلامبولى بمركز كفر الزيات» وقد عرفت باللقب الأخير دون عائلتى، وأمضى به اختصاراً.

ولأزيدك تأكيداً أقول لك إننى ولدت فى قرية «بسيون» من قرى مديرية الغربية

(بيروت. الشام) — ا. ب. الزحلاوى. قرأت فى أحد دواوين الشعر قول البرعى يصف طيفاً. فاستوقفنى المعنى الآتى فى هذا البيت وهو:

ألم بمضجعى فظفرت منه بما ظفر الفرزدق من نوار

فما هو الشىء الذى ظفر به الفرزدق من نوار؟

(المعرفة) ياسيدى الزحلاوى! لقد أحرجتنا والله. وما ندرى إذا كنت متعمداً ذلك أم لا. على أنا بالرغم منا نريحك فنقول إن الذى فهمناه من بيت البرعى هو أنه يريد تجنب الطيف كما تجنبت نوار الفرزدق، وذلك قبل أن يطلقها، إذ كانت امرأته. أما كيف كان ذلك؟ فلهذا حديث آخر ليس هنا مجاله. فهل فهمت يا خبيث؟